الصراصير ... طريق الخداع

بقلم الأسير / محمد صبحة "أبو مؤمن"

تقديــم..

في أرض فلسطين معركة دائرة بين أصحاب الحق والأرض (الشعب الفلسطيني المرابط) والاحتلال الإسرائيلي الجاثم على الصدور ، المصادر للحقوق ، هذه الحرب مفتوحة في زمانها ، ممتدة في مكانها ، متنوعة في أساليبها .. والسجون والمعتقلات إحدى ساحاتها ، وأقبية التحقيق من ميادينها .

فالتحقيق معركة شرسة وحساسة ، تدور رحاها بين جهاز الشاباك (المخابرات) الصهيوني بكل أذرعه وإمكاناته ، وبين الأسير المقاوم المنزوع من كل سلاح ،إلا سلاح الإيمان والإرادة ، يهدف جهاز الشاباك في هذه الحرب إلى انتزاع المعلومة من صدر الأسير بكل ثمن ، بينما يقاوم الأسير ذلك كله بسلاح الصبر والحكمة ، وقبل ذلك بالاستعانة بالله عز وجل ، ليحرم العدو من الانتصار والوصول لبغيته .

ولما وجد الاحتلال هذا الصمود والتحدي من قطاع عريض من أسرى المقاومة على اختلاف ألوانها ، بدأ بالبحث عن مزيد من الأساليب التي يهزم بها أسيره ، فخرج بأفكار عديدة ، كان أبدعها _ بل أخسّها _ أسلوب غرف العار ، أو ما اصطلح على تسميتها (غرفة العصافير) ، وبصيغة أوضح (العملاء) ، وسنطلق عليهم في دراستنا (الصراصير) .

هذا الأسلوب الذي يعتمد على أشخاص فلسطينيين أو عرب ، باعوا أنفسهم للشيطان ، وأذلوها لأسيادهم ، وسخروا طاقاتهم لخدمة عدوهم ، فأصبحوا رأس مخلب المخابرات الصهيونية في أقبية التحقيق ، وسلاحه الأنجع في ضرب المقاومة ، وأسلوبه الأوفر والأيسر في الحصول على المعلومة والاعتراف ، وقد أثبتت الإحصاءات والاستبانات التي أجريت في السجون على مدار سنين أن نسبة الأسرى الذين اعترفوا بين يدي العملاء (الصراصير) تفوق نسبة الأسرى الذين اعترفوا بأي أسلوب آخر ، بما فيه بين يدي محققي الشاباك .

ومما يؤسف له أن الاعترافات التي يتحصل عليها الاحتلال جراء هذا الأسلوب تفوق في دقتها وتفصيلها وضررها كل أسلوب ، ذلك أن الأسير عندما يعترف بين يدي العملاء إنما يظن أنه يضع معلومات بين يدي إخوانه وأبناء تنظيمه ومناضلين مثله ، فيسترسل في ذكرها وشرحها وتحليلها ،

ويضيف إليها رأيه وتقييمه ، ويأخذ راحته في استذكار أسماء من يعرف من المجاهدين ، وما يعرف عنهم من معلومات ، بينما لا يفعل ذلك مع المحقق الصهيوني ، إنما يجيب على ما يُسأل عنه ولا يتطوع غالباً بمعلومات إضافية ، بل يسعى إلى إخفاء أجزاء من المعلومة أو تحريفها .

من أجل ذلك ، لا بد لكل مجاهد أن يتعلم أساليب هؤلاء ووسائلهم وحيلهم وألاعيبهم ، بل على كل إنسان فلسطيني _ وإن ظن أنه لن يعتقل _ أن يدرس كيفية النجاة منهم ، وأن يجتهد في ذلك قبل أن يقع في حبالهم .

ثم بعد ذلك عليه أن ينقل هذه الثقافة إلى أهل بيته وإخوانه وجيرانه ومجتمعه ، فكم من أسير نجا من العصافير لقصة سمعها من أسير سبقه ، أو من وريقات قرأها من أخ أعطاه إياها ، وكم من أسير دفع سنين طويلة من عمره لجهله بهذا العلم ، وعدم إقدامه على تعلمه .

نبذة تاريخية

بعد أن دخل الاحتلال الإسرائيلي أراضي الضفة الغربية عام (١٩٦٧) ، نشأت مقاومة فلسطينية لطرد الغزاة ، ودفعهم عن الأرض ، وكواقع يفرضه الاحتلال حيثما وجد ، فتحت السجون ، وزجّ فيها آلاف المجاهدين والمناضلين الذين شاركوا في المقاومة .

في ذات الوقت سعى الاحتلال _ كما العادة _ إلى ضرب هذه المقاومة من الداخل ومنع وجودها أصلاً ، عبر السعي الدؤوب إلى إسقاط من يستطيع إسقاطه من الشعب في وحل الخيانة والعمالة ، والعمل على جعل أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب الفلسطيني خدماً وعبيداً عنده ، يحمون أمنه ويحفظون وجوده ، ويشكلون الستار الواقي لظهره من ضربات المقاومة المحتملة .

فنجح العدو في ذلك حيناً وفشل أحياناً ، لكنه تعلم من فشله ، ولم ييأس ، وبقي على محاولاته التي حظي العديد منها بالنجاح ، وبذا أخذت النواة الأولى للخونة والعملاء تظهر أكثر فأكثر ، وحاول الاحتلال إيجادها في جميع الأوساط حتى يكون حاضراً في كل مكان ، مطلعاً على ما يجري في الشارع والمجتمع الفلسطيني ، فهو يدرك _ كما يدرك الكل _ أن خير من يمكنه أن يحصل على المعلومة هو ابن المجتمع ذاته ، وبذا أصبح العملاء عين الاحتلال وأذنه .

وفي السجون حاول العدو الأمر ذاته ، فزرع العملاء الذين عملوا على تحقيق أغراض أسيادهم من حيث الحصول على المعلومة ، وتخريب الواقع الاعتقالي ، والتشكيك بنقاء المقاومة وأهدافها ، لكن الأسرى تصدوا لهذه الظاهرة بقوة ووعي ، بكشف أساليب الاحتلال في الإسقاط ، وبمواجهة وسائلهم في زرع العملاء بين أوساط الأسرى وعموم الشعب الفلسطيني ، وبإصدار الدراسات التي توضح ذلك وتكشفه للناس .

ثم قامت الحركة الأسيرة لمختلف التنظيمات بتشكيل أذرع أمنية مهمتها كشف العملاء وفضح ممارساتهم والحيلولة دون وصولهم لأهدافهم ، بل وأحياناً عقابهم إما بإعدامهم أو طردهم من بين الأسرى ، أو التحقيق معهم للاستفادة من المعلومات التي لديهم ، فكان لهذا العمل أثر مهم في

الحفاظ على الواقع الاعتقالي ، وحماية الأسرى والمقاومة التي كان كثير منها يتشكل داخل السجون ، ومن ثم يخرج للخارج ، رغم ما صاحب هذه الأذرع وأدائها من إشكالات .

وبقيت الحرب الاستخبارية والأمنية قائمة بين الاحتلال الصهيوني والمقاومة الفلسطينية منذ ذلك الحين ، وإن اختلفت أساليبها من حين لآخر ، ومن واقع لغيره .

جراء هذه الحملة الوقائية التي قام بها الأسرى ، بدأ عملاء الاحتلال بالهروب من بين الأسرى حفاظاً على أنفسهم ، أو خشية فضح أمرهم ومن ثم عقابهم ، أو سعياً للحفاظ على ما لديهم من معلومات وأسرار متعلقة بدورهم ، وأصبحوا يسلمون أنفسهم لأسيادهم ، فتجمع عدد غير قليل منهم في غرف اعتقالية خاصة ، أطلق عليها (غرف المحميّين) ، أي الذين تقوم إدارة السجون الصهيونية بحمايتهم ، وذلك مطلع السبعينات .

تزايد عدد الفارين مع مرور السنين ، لكنهم لم يكونوا يمثلون للاحتلال أكثر من سجناء من أدنى درجة ، لا يعطي لهم أي قيمة ، ولا يمنحهم أي امتياز ، بل على العكس من ذلك تماماً ، ولم يكن العملاء حتى ذلك التاريخ يقومون بأي دور في خدمة أسيادهم ، بل إن انكشاف أمرهم حال دون أداء دورهم الخياني ، ولذا كانوا سجناء يقضون مدة اعتقالهم كغيرهم ، وفي أحسن الحالات كانت الإدارة تسمح لهم بالعمل في مطبخ السجن .

وأخذت هذه التجمعات الصغيرة من العملاء تتزايد بشكل تدريجي شيئا فشيئاً ، وتنتشر على عدد من السجون ، حتى نهاية عقد السبعينات حيث بدأت الأمور تأخذ منحى جديداً .

في تلك المرحلة أطلق على أماكن تجمع العملاء (غرف العصافير) ، نسبة إلى العبارة التي كانت تقال مع كل عميل يهرب : (عصفر فلان) أو (طيّر) ، في ذاك الحين بدأ جهاز المخابرات الصهيوني باستخدام بعض هؤلاء الخونة بشكل فردي وغير منظم لتنفيذ مهمات محدودة داخل أقبية التحقيق كاستدراج بعض الأسرى ، واستراق المعلومات منهم .

كان جهاز الشاباك الصهيوني يختار من العملاء أذكاهم وأنسبهم وأقدرهم على القيام بالمهمة الموكلة إليه ، وأنجحهم في مهامه السابقة ، بينما يترك الآخرين في غرف الحماية ، وبذا أصبح العملاء (المحميون) على قسمين :

قسم معزول في غرف حماية ، لا تثق بهم المخابرات ، ولا تعتمد عليهم ، ولا تطلب منهم أي مهمة ، ولذا هي تقوم بحمايتهم فحسب ، وقسم آخر قليل يخدم أسياده في الزنازين وأقبية التحقيق ، حيث يطلب منه الاحتلال ذلك ، هذا القسم بدأ يحصل على حظوة واهتمام خاص ، وتدريب لإنجاز المهام الموكلة إليه .

وهنا بدأت تتبلور فكرة إنشاء غرف العار بشكلها الرسمي والمنظم والدائم ، تقوم بمهمة مساندة جهاز الشاباك في عمله وهو انتزاع الأسرار من صدور الأحرار ، والحصول على المعلومة الأمنية من المجاهدين ، والتي بواسطتها تضرب المقاومة ، وتعطل الأعمال الجهادية ، وكان على رأس هذه البؤر وفي نواتها الأولى ، العميل الخائن (عبد الحميد سالم رجوب) الذي عرف على أنه أشهر مؤسسي غرف العار ، والذي انتهى به المطاف إلى العمل كضابط تحقيق تحت اسم (الكابتن جيمس) .

بتكوين غرف العار (الصراصير) توسع العمل الاستخباري للعملاء ، وانتقل من العمل الفردي إلى الأداء الجماعي ، ومن الجهد العشوائي إلى الجهد المنظم ، ومن المهام المتقطعة إلى العمل الدائم .

ومع مرور الأيام بدأت هذه التجربة تثبت نجاعتها وتؤتي أكلها ، وتعود على الاحتلال بالنفع الكثير ، فأعطى الاحتلال لها اهتماماً خاصاً ، وبذل في سبيل تطويرها أموالاً وجهوداً ، ووفر للعملاء المشاركين فيها المزيد من الإمكانات التي ترفع من كفاءتهم ، وتزيد من فرص نجاحهم ، فأصبحت (غرف العصافير) الأسلوب الأول والأخطر لدى جهاز الشاباك الصهيوني ، والمتصدر لقائمة أساليب انتزاع الاعترافات من المجاهدين والمناضلين .

فهو بالإضافة لما ذكرناه من كونه الأسلوب الذي يحصل العدو عبره على معلومة أكثر دقة وتفصيلاً ، كذلك فقد أراح هذا الأسلوب العدو من عناء الملاحقات الحقوقية والقانونية التي شنتها منظمات

حقوق الإنسان في مواجهة أساليب الضرب والتعذيب الجسدي الذي كان الاحتلال يكثر من استخدامه قبل ذلك ، ذاك الأسلوب الذي وصم الاحتلال الإسرائيلي أمام المؤسسات الحقوقية والإنسانية العالمية بل أمام العالم بأسره بسمته الحقيقية وهي سمة الوحشية واللاإنسانية ، بينما لا تستطيع هذه المؤسسات أن تفعل الأمر ذاته مع أسلوب العصافير والعملاء الذين لا يستخدمون الأساليب الجسدية إلا نادراً .

الفصل الأول : أسباب السقوط في شرك العصافير

بعد الاطلاع على حالات عديدة من المجاهدين والمناضلين الذين سقطوا في حبال العصافير فاعترفوا على أنفسهم وعلى غيرهم ، ومكنوا الخونة من الحصول على ما لم يتمكن المحقق الصهيوني المدرب من الحصول عليه ، نجد أن أسباب هذا السقوط محدودة ، وتتكرر في جميع الحالات ، نجملها في الأسباب التالية :

١/ الجهـل :

ونقصد به الجهل بأساليب العدو في انتزاع المعلومة ، وعلى رأسها أسلوب الصراصير ، وما يستخدمونه من حيل ووسائل وطرق ، تمارس على الأسير لخداعه وإيهامه أنهم شرفاء ، أو أنهم مسؤولو تنظيمه ، أو حلقة وصل بينه وبين التنظيم ، فإذا استطاعوا خداعه واطمأن إليهم بدأ بالبوح والحديث عما يخفيه من معلومات ، وذكر ما قام به من أنشطة جهادية وسياسية ، بل وما كان يفكر بفعله أو يخطط له .

وبقدر ما يكون المرء جاهلاً بأمر العصافير بقدر ما يسهل خداعه ، والناظر إلى الواقع الفلسطيني يجد أن معظم حالات السقوط لدى الأسرى ترتبط بهذا السبب ، الأمر الذي يشير إلى جهل فاحش بأساليب العصافير .

وسواء كان الجهل عميقاً لدرجة عدم السماع بالعصافير أصلاً ، أو السماع عنهم دون المعرفة بأساليبهم (أو بعضها) ، أو حتى بوجود ثقافة خاطئة غير صحيحة عنهم ، فإنها تندرج تحت دائرة الجهل .

والجهل يواجه بالعلم والمعرفة والاطلاع والدراسة ، وسنتعرض إلى هذه المعرفة في الصفحات القادمة إن شاء الله .

٢/ الريـاء والمفاخـرة :

فقد وجدنا أن الأسير الذي تتوفر فيه صفة حب الظهور والمفاخرة أسهل سقوطاً في فخ العصافير من غيره ، إذ أن المرائي يكثر من الحديث عن نفسه مفاخراً ببطولاته ، يحدث بها ، ويزيد عليها ، بل ويتبنى أحياناً ما قام به غيره ، وقد التقينا أسرى حكم عليهم بالسجن المؤبد نتيجة كذبة كذبها عن نفسه ، أو لحظة مفاخرة لم يضبط نفسه فيها .

والأسير الذي ابتلي بالثرثرة وحب الحديث عن الذات يسهل استدراجه ، ولا يجد الصراصير كثير عناء للإيقاع به ، فإن مدحوه قليلاً وذكروا شيئاً عنه ، وأشعروه بأنه ذو قيمة مميزة ، اندفع يجاريهم ويؤكد لهم المعنى بالبوح بكل ما قام به من بطولات ، وما فكر من عمليات وزاد عليها بعض الأحلام .

والرياء يعالج بالإخلاص ، وتوجيه النية صافية صادقة خالصة لوجه الله تعالى ، وابتغاء الأجر منه دون غيره من البشر .

٣/ الخـوف ..

فالأسير الذي يعاني الخوف أو ضعف الشخصية يؤثر فيه الترهيب ، وخصوصاً إن كان الصراصير على علم بشخصيته وبوجود صفة الجبن فيه ، وكثيراً ما يطلع المحققون عملاءهم على هذه الصفات التي تشكل نقاط ضعف يسهل النفاد منها ، والاستفادة من وجودها لانتزاع الاعتراف ، فإذا علموا بجبن الأسير فإنهم يركزون على أسلوب التخويف ، وإرهابه بالضرب تارة وبالاتهام بالخيانة تارة أخرى ، وبالمقاطعة تارة ثالثة .. عندئذ يبدأ الأسير بالإجابة على أسئلتهم ، والتجاوب مع ما يطلبونه رغم إدراكه _ أحياناً _ لخطورة ذلك وخطئه .

تحت هذه الأسس الثلاث تندرج حالات كثيرة من السقوط في شرك الصراصير ، حالات ناجمة عن أساليب ووسائل وحيل كثيرة متعددة ، نعرضها في فصل لاحق .

الفصل الثاني : أصناف العصافير

حتى ينجح العدو في عمله ، ويرفع نسبة وقدرة أذنابه العملاء على انتزاع المعلومات من الأسرى ، فإنه يعمد إلى تنويع الصور وأدوار العملاء وأماكن تواجدهم ، كل منهم يقوم بدور منوط به ، قد يختلف عن دور غيره لكنه مكمل له في مهمة انتزاع المعلومة .

في هذا الفصل سنقوم بتقسيم الصراصير والعملاء تبعاً لأماكن تواجدهم وعملهم ، والأماكن التي يلتقون فيها مع الأسير المستهدف ، وهي أربعة أقسام :

١/ عصفور الزنزانة .

٢/ عصفور البوسطة .

٣/ عصفور الغرفة (غرف الصراصير) .

٤/ عصفور السجن .

١/ عصفور الزنزانة :

عندما ينزل الأسير من غرفة التحقيق أو من الشبح إلى زنزانته ، فإن الاحتلال يتركه أحياناً وحده ، وأحياناً أخرى يجعل معه أسيراً آخر في ذات الزنزانة ، هذا الأسير قد يكون مناضلاً مثله أو عميلاً يؤدي دوراً يطلبه منه أسياده ، وعلى كل حال فالمخابرات لا تتصرف اعتباطاً بل تدرس شخصية الأسير وتحاول التصرف تبعاً لذلك .

فالأسير في هذه المرحلة يستأنس بكل من يلتقي به ، ويجد مادة للحديث معه ، بل ويتعطش إلى ذلك ، والأسير في هذه المرحلة يكون في الغالب مرتبكاً أو خائفاً ، في هذا الوضع النفسي يدخل العميل ليمارس الدور المطلوب منه ، سواء بالتهيئة أو انتزاع المعلومة او التعرف على قدرات الأسير أو حتى محاولة الإسقاط ، وقد يسعى العميل في هذه المرحلة إلى اكتساب ثقة الأسير "فقط" بحيث يعود ويلتقي به في مكان آخر ويمارس دوره كعميل .

ويمكن ان يكون العميل معك في ذات الزنزانة _ وهو الغالب _ وقد يكون في زنزانة مجاورة بينهما منفذ " مصطنع " للتواصل بينهما ، لإيصال رسالته عبره ، وقد يكون العميل في ساحة الشبح أو على بوابة الزنزانة ، كلهم يؤدي الغرض ذاته .

وقد يمكث العميل مع الأسير ساعات تكفي للغرض ، وقد يبقى معه أياماً عدة ، يأتي بعدها الشرطي لسحبه أو سحب الأسير من عنده ، ليمارس _ العميل _ دوره القذر مع غيره من الأسرى والضحايا .

وقد يقوم الاحتلال بنقل الأسير إلى أكثر من زنزانة في كل منها عميل ، أو إدخال أكثر من عميل على الأسير في زنزانته ، يشتركون في حبك المسرحية والقيام بالأدوار لتتم مهمة الإيقاع بالأسير المستهدف .

يندرج _ كما ذكرنا _ تحت هذا البند عميل قد يضعه المحقق الصهيوني في ساحة الشبح فيكون الأسير مشبوحاً مقيداً مغمض العينين ، وبجانبه أسير على نفس الصورة من التقييد والشبح وما هو في الحقيقة إلا عميل (صرصور) يبدأ بمحادثة الأسير الشريف ، وإيصال الرسائل السلبية التي كلفته المخابرات بإيصالها عبر الحديث المقتضب ، أو عبر التظاهر بالانهيار وبدء الاعتراف ، أو الصراخ والبكاء .

٢/ عصفور البوسطة .

أقل العملاء دوراً ، ويكاد يقتصر دوره على تهيئة الأسير أثناء توجهه إلى غرف العار بتضليله وإيصال رسائل مغلوطة تساهم في وقوعه بالشرك ، لا يستخدم إلا في حالات نقل الأسير من المعسكر الذي يحوي توقيفاً وتحقيقاً ، إلى السجن الذي يحوي غرف العار ، ويمكن أن نضيف إليه العميل الذي يلتقي بالأسير أثناء توجهه إلى زيارة المحامي أو الصليب الأحمر بحيث تفتعل مسرحية خداع يكون عبرها اللقاء والحديث .

يسعى الاحتلال أثناء نقل الأسير من مركز التحقيق أو التوقيف إلى غرف العصافير في سجن آخر إلى عدم السماح له بالاحتكاك بغيره من الأسرى حتى لا يحذرونه من غرف العار والعصافير ، إلا

أنه أحياناً يجمع بينه وبين عميل يزجّ به الشاباك في " نفس البوسطة " فيتحدثان معاً حديثاً مقتضباً يمثل فيه العميل دور الناصح الأمين ، والموجه الخبير ، يبعث له رسالة اطمئنان " وخداع " إلى أنه ذاهب إلى إخوانه الأسرى ، أو يوصل إليه رسالة مغلوطة تشوش عليه تفكيره فتختلط عليه الأمور وتوقعه في الزلل .

٣/ عصفور الغرفة .

غرف العار (الصراصير) ، الأسلوب الأبرز والأهم والأكثر استخداماً في هذا الباب ، وهو الشكل الذي عرف به العصافير وعملهم و"إنجازاتهم " في ضرب المقاومة والإيقاع بالمناضلين وانتزاع الاعترافات التي عجزت عنها المخابرات .

وغرف الصراصير هي المكان الذي يتجمع فيه العملاء المسؤولون عن خداع الأسير وانتزاع المعلومة منه وتسليمها لرجل الشاباك ، ومن الخطأ الذي وقع فيه بعض من كتب في هذا الباب _فأوقع غيره من الأسرى في شباك العصافير _ أن حدّد شكل الغرفة التي يتواجد فيها العملاء ، لونها أو حجمها أو عدد العملاء فيها أو أشكالهم وأسمائهم وصفاتهم ، أو تحديد السجون التي يتواجد فيها العصافير ، فالعدو دائم التجديد والتغيير والاستحداث في كل هذه التفاصيل ، زيادة في التضليل وإمعاناً في خداع القادمين الجدد من الأسرى.

فغرف العار قد تكون غرفاً أو خياماً ، وقد تكون غرفة واحدة أو أكثر ، وقد يكون فيها ستة عملاء أو ثمانية أو عشرة أو أكثر من ذلك أو أقل .

فالعدو يهتم جداً بتمويه غرف العصافير ، ويجتهد في إعدادها بما يساعد العملاء على أداء دورهم وتحقيق هدفهم بأنجح صورة ، فمثلاً :

* يجعلها مشابهة لواقع الأسرى وحياتهم وغرفهم ، ففيها الأدوات المسموحة للأسرى ، ولا تحوي ما هو ممنوع حتى لا تثير الريبة والشك ، ويبتعد العملاء فيها عما يلفت النظر ويكشف حقيقتهم ، بحيث أن الأسير إذا كان قد اعتقل سابقاً أو سمع من صديق عن واقع السجن ومواصفاته وطرق حياة الأسرى فيه فإنه يجد غرف العصافير مماثلة له فيسهل خداعه .

* يزودونها بعملاء يتناسبون والأسير النزيل عندهم ، فإن كان متديّناً وجد فيها من يهتم بأمور الدين ويحافظ على الصلاة ، ويحفظ القرآن الكثير ، ويطلق اللحية ويكثر من التسبيح ، حتى يطمئن الأسير إليهم ، وإن كان من البلد الفلاني أرسلوا له من يعرف أشخاصاً من تلك البلدة لسؤاله عنهم ، والإيهام بأنه يعرفهم وعلى علاقة بهم فيفتح باباً للنقاش والتقارب ، ويجد مادة ينفذ إليه عبرها ، وفي ذات الوقت يخرجون من الغرفة من كان من نفس بلد الأسير (الضحية) حتى لا يتعرف عليه ويكشف أمره .

وغالباً ما يكون في الغرفة تنوع من أطياف العملاء ، بحيث يظهر الواقع الاعتقالي كواقع السجون فمنهم الإسلامي واليساري والعلماني .. وهكذا .

* أن يكون واقع الغرفة مثالياً ، فيه العلاقات الطيبة والأخوية ، وفيه التفاعل والثقافة والاهتمام بالوقت وفيه الحديث والحماس للعمل المقاوم ، والدعوة للصبر والصمود والاحتساب ، ورفض الحديث عن كل ما يضعف الهمة ، أو يظهر الندم على المشاركة في العمل الجهادي والنضالي المقاوم .

في الغرفة مكلفون يقومون بدورهم على أحسن صورة ، فيها الأمير والشاويش والإمام والموجه.. كل يقوم بدوره بهمة ونشاط ، يحسنون استقبال القادم الجديد ويقومون على خدمته وتوفير احتياجاته لدرجة توقع الأسير في الحرج ، وتشعره بالامتنان ، حتى قال لنا أحد الإخوة الذين وقعوا عندهم أنه شعر نفسه بين ملائكة في أخلاقهم ومعاملاتهم .

* عادة تكون غرف العار معزولة عن السجن الذي يحوي أسرى أمنيين ، فهي إما تكون في سجون لا تحوي أسرى ، أو في أقسام لا تحوي غيرها من الغرف ، أو في قسم جميع غرفه عصافير ، إذ أن غرف الصراصير لا يمكن لها أن تعيش وتعمل في ذات الأقسام التي يعيش فيها الأسرى الأحرار ، لكن قد يكون في ذات الغرفة أسرى أحرار لا يعرفون أنهم في غرف عصافير.

* يمكن أن تزود غرف العصافير بعدد من الأسرى الشرفاء الأنقياء _ وهم لا يعلمون _ ليجمّلوا الصورة ، ويبعثوا على الطمأنينة لكل من يحضر العدو إليها لانتزاع المعلومة منه ، خصوصاً إن

كان هؤلاء الشرفاء من الأشخاص المعروفين للأسير ، إذ يقوم المناضل الشريف بالدور التجميلي لغرف العار دون أن يدرك ذلك .

* كما ذكرنا فإن العملاء يمكن أن يتواجدوا في الزنازين وفي البوسطة وفي الغرف المنفردة أو الجماعية ، ويمكن أن تكون لهم أقسام من خيام ، فقد قام العدو سابقاً بإنشاء قسم خيام خاص بالعصافير في سجن مجدو ، لشهرة الخيام في هذا السجن ، واستطاعوا من خلاله الإيقاع بمئات الأسرى ، ويمكن أن يكرر العدو تجربته حيثما يظن أنها ناجحة ، وبالطريقة التي يرى أنها تحقق غرضه ، أي أن العميل يمكن أن يكون في أي واقع مهما كان شكله .

وأخيراً فإن العملاء في غرف العار يعملون كطاقم متكامل ، منهم من يؤدي دوراً تضليلياً ، ومنهم من يؤدي دوراً ثانوياً ، ومنهم من يقوم بانتزاع المعلومة .. بعضهم يمثل دور الضحية ، وغيرهم يمثل دور رجل التنظيم ، وآخرون لا يظهر لهم دور ، كلهم شركاء في الجريمة ، جزء من تنفيذها ، فلا ينخدعنّ أحد بحسن معاملة أو حلاوة لسان .

بقي القول أن مرحلة غرف العصافير تبدأ عادة عندما يحاول المحقق إشعار الأسير أنه انتهى من التحقيق ، وأنه سيتم نقله إلى السجن ، فيقوم بإرسال الأسير إلى الشرطة ليكتب الإفادة ، ثم يخبره أنه أنهى التحقيق ، وأنه منقول إلى السجن عند باقي الأسرى ، وعادة تستخدم المخابرات بعض المؤثرات أو العملاء لإقناع الأسير بأنه منقول إلى السجن لتنجح عملية خداعه واستدراجه وسحب المعلومات منه .

٤/ عميل السجن ..

على الأسير أن يدرك أنه في تحقيق ما دام في سجنه ، وأن كلامه وتصرفاته محسوبة عليه ، وأن العدو سيبقى يجمع أي معلومة أمنية يتحصل عليها في أي مكان ، فقد اعتدنا على وجود بعض العملاء في أقسام وغرف الأسرى ، عملاء غير مكشوفين ، يمارسون أدواراً عدة كجمع المعلومات والتشويش على واقع الأسرى وحياتهم ، وبث الأفكار الهدامة .. إلخ ، فليحذر الأسير ولينتبه لذلك .

هذا الصنف من العملاء وإن كان دوره يبدأ بعد انتهاء مرحلة التحقيق رسمياً ، إلا أنه يمارس ذات الدور في جمع المعلومة ، هذه المعلومة التي قد تؤدي بالأسير إلى العودة ثانية وكشف أمرهم ، والتأثير سلباً على حركته .

إذاً فالعملاء قد يرافقون الأسير من أول يوم عبر عميل الزنزانة ، وعلى مدار فترة التحقيق وعبر عميل البوسطة ، وصولاً إلى غرف العصافير وانتهاء في فترة وجوده في السجن عبر عملاء السجن ، فليحذر المجاهد والمناضل .

ولا بد أن ننوه إلى أنه ليس كل أسير يحضرونه لك في الزنازين بالضرورة سيكون عميلاً ، أو أن كل إنسان تلتقي به في مرحلة التحقيق مرتبط بعدوه ، أو أن كل إنسان استقل معك سيارة البوسطة مشتبه به ، أو أن كل أسير سمعته يبكي ويظهر عليه الإحباط واليأس أو قام بالاعتراف فإنه مرسل من قبل العدو ، أو كل من أقام معك في غرفة السجن خائن .

بل قد يكون من هؤلاء شرفاء أنقياء ، وخونة عملاء ، لكنها أساليب يستخدمها العدو فاحذر ، وإياك من الوقوع في مثل هذه الحبال .

الفصل الثالث : أدوار العصافير ومهماتهم

ذكرنا أن الصراصير في مقدمة الأساليب التي يستخدمها الشاباك في انتزاع المعلومة من صدور الأحرار ، هذا الأسلوب يقوم بأدوار متعددة ومهمة لإنجاح الهدف الذي وجد لأجله .

١- التهيئة .

٢ انتزاع المعلومة .

٣- التعرف على قدرات الأسير .

٤- الإسقاط .

١- التهيئـــة :

تهيئة الأسير للاعتراف ، فالأسير عادة ما يدخل السجن وفي قرارة نفسه عزم على أن لا يعترف لعدوه بالتّهم الملقاة عليه ، فيأتي دور العميل محاولاً إقناعه بالاعتراف عبر رسائل مغلوطة ومعلومات مكذوبة يوصلها إليه ويقنعه بها .

هذه الرسائل تهز الأسير من داخله أو تغير من قناعاته أو تجعله يملك معلومات مغلوطة توقعه في الخطأ ، فتدفعه إلى التفكير بالاعتراف أو تسهل من سقوطه في الشرك ، حتى إذا انتقل إلى غرف العصافير أو غرف التحقيق أدلى بما لديه من معلومات دون عناء .

ولكي ينجح العميل في تهيئة الأسير للاعتراف فإن العدو يضع الأسير في ظروف خاصة تجعله تربة خاصة للتضليل ، فتكون تلك الظروف أولى مراحل التهيئة ، حتى إذا قام العدو بدوره التضليلي أصبح الأسير مهيأً للإدلاء بما لديه من معلومات طواعية .

٢- انتزاع المعلومة :

فالاحتلال يعتمد كثيراً في انتزاع المعلومة من الأسير على عملائه ، ولعله الدور الأبرز للعملاء داخل السجن وخارجه ، ولعل نظرة خاطفة إلى واقع الأسرى تجعلك تدرك أن نسبة من يقع عند العصافير تفوق من يعترف في أقبية التحقيق .

كما أن رجل الشاباك يثق بالمعلومة المتحصلة لدى العصافير أكثر من ثقته بالمعلومة التي ينتزعها من الأسير بالقوة ، ذلك أن الأسير عندما يضع ما لديه من معلومات طواعية عند الصراصير فإنه يكون أقرب إلى الصدق والصراحة لأنه يظن أنه يضعها عند إخوانه وفي أيد أمينة تستفيد من هذه المعلومة بينما عندما يضعها بين يدي المحقق فإنه يعلم أنما يضعها في يد عدوه فيسعى إلى إخفاء بعضها أو التضليل وعدم الدقة في سردها لتقليل حجم الخسارة .

٣- التعرف على قدرات الأسير :

أحياناً تكون المخابرات الصهيونية غير متعرفة على طبيعة الأسير ونقاط قوته وضعفه وإمكاناته وقدراته وثقافته ومعلوماته وبالتالي غير قادرة على تحديد الأسلوب الأمثل الذي تستخدمه معه للحصول منه على اعتراف ، إضافة إلى عدم معرفتها بطاقته التحمّلية وقدرته على الصمود ، كل هذه التساؤلات وغيرها يحتاجها رجل الشاباك أثناء التحقيق مع الأسير ليسهل عليه الإيقاع به ، فيرسل لذلك أحد أذنابه ليسترق الإجابات من فم الأسير أو في معاشرته ومخالطته إياه .

فإذا دخل العميل على الأسير في زنزانته وعايشه أياماً سمع منه حديثه ووجهة نظره حول ما يجري من حوله وفحص خبرته بأساليب التحقيق ومعلوماته عن العصافير وعلم مدى خوفه من الأساليب التي يستخدمها الشاباك وثقافته الأمنية حول ذلك كله ، ثم يقوم بنقلها إلى رجل الشاباك الذي يستثمرها في معركة التحقيق .

٤ – الإسقــاط :

يقوم العملاء حيثما كانوا بدور تجنيد عملاء جدد للاحتلال ، فالخائن يسعى إلى أن يكون محيطه كله خائناً مثله ، وأسياده الصهاينة يطلبون منه أن يقوم بهذا الدور حيثما كان .

ومرحلة التحقيق إحدى المحطات التي يسعى الاحتلال فيها إلى إسقاط الأسرى في وحل الخيانة ، سواء عبر العرض المباشر من المحققين ، أو عبر العملاء الصراصير .

والعميل يستغل حالة الضعف التي قد تعتري الأسير في تلك المرحلة لينفذ من خلالها إلى داخله ، فيجره إلى مستنقعه ، ومن الأساليب التي يستخدمها العملاء في الزنازين (الإسقاط عبر اللواط) ، ففي ظل وجود العميل والأسير في زنزانة وحدهما قد يبدأ العميل بالتصرف بطريقة فيها الإثارة والتهييج الجنسي حتى إذا تمكن من الوصول إلى هدفه ومارس معه الرذيلة جاء دور المحقق الصهيوني في مساومة الأسير بين التعامل معهم أو الفضيحة أمام أهله والناس جميعاً ، فإن ضعُف الأسير قبل الارتباط ووقع في شر مستنقع ، وإن أبى ساومه المحقق على شيء أقل وهو الاعتراف ، عندها يجد الأسير أن الأمر سهل فيعترف بالتهمة الموجهة إليه .

الفصل الرابع : أســـاليب

لكي يحقق الصراصير أهدافهم التي ذكرناها في الفصل السابق ، يستخدمون أساليب عديدة ومتجددة ، والحاجة إلى تنوع وتجدد الأساليب ينطلق من كونها غير مباشرة ، أي أنه من المفروض أن يكون عملهم مخفياً ، وبمقدار نجاح العميل في التستر على حقيقته ، ودهائه في تضليل فريسته ، يكون نجاحه وانتصاره على ضحيته .

وقد جاء هذا التنوع تبعاً للأدوار التي يؤديها الخونة والمهمة التي توكل إليهم من أسيادهم ، ولذا سنعرض هذه الأساليب من خلال ما مر بنا وسمعناه وشهدناه من قصص على مدار سنين الاعتقال .

١ – رسالة الخوف :

يحاول عميل الزنزانة أن يوصل إلى الأسير (رسالة خوف) مفادها أن التعذيب قاس وشديد ، وأنك لا تستطيع احتماله ، وأنه فوق طاقتك ، وأن غيرك حاول الصمود لكنه لم يستطع ذلك ، وبالتالي يوصلك إلى القناعة بالاعتراف ، فتدخل غرفة التحقيق مهزوماً نفسياً، مستعداً للاعتراف ، مهيأً لوضع ما لديك بين يدي المحقق .

ويوصل العميل رسالته هذه بأكثر من وسيلة ، مباشرة وغير مباشرة ، مثل :

أ / يلتقي العميل بالأسير في الزنزانة ، فيظهر عليه آثار الإعياء الشديد والتعب والإحباط ، ويمكن أن تظهر عليه آثار كدمات وضربات ، أو تكون عيونه حمراء من قلة النوم فتكون الرسالة السلبية الأولى من مجرد الشكل والمظهر .

ب / بعد ذلك يبدأ العميل بالحديث عما مر به من عذاب ، ويأخذ بعرض صور وألوان وصنوف من التعذيب الجسدي والنفسي ، فيصوره تصويراً حياً ، ويضع عليه لمسات فنية وإخراجية تبعث على القشعريرة ، يتحدث عن فترات طويلة من التحقيق ، وقدرات فائقة للمحققين ، وظروف عصيبة لا يقوى على مواجهتها أحد .

ج / وقد تأتي رسالة الخوف عبر عميل خائن يوصلها دون أن يجلس مع الأسير في زنزانته أو في ساحة الشبح ، والأسلوب عبارة عن مسرحية على النحو التالي :

يتقدم العميل مع سجانين أو محققين من باب زنزانة الأسير ، ويبدأ المحققون بالتظاهر بضربه ، وهو يصرخ بأعلى صوته ، ويتأوه ويقع أرضاً ، وتمضي دقائق على هذه الحركات ، حتى يصل العميل إلى النقطة المهمة ، فيبدأ بالصراخ : كفى ، لا أستطيع أن أتحمل ، سأعترف بكل ما تريدون ، بل ويبدأ ببعض الاعترافات ، عندها يتوقف المحققون عن عملية الضرب المصطنعة ، بعد أن تكون عبارات التثبيط وأجواء الإرهاب قد وصلت إلى أذني وقلب الأسير ، فتركته خائفاً قلقاً مضطرباً ، يخشى أن يتعرض لمثل ما تعرض له ذاك " المسكين " .

تلتقي هذه الأصوات مع أجواء الكآبة التي تملأ الزنزانة الانفرادية القاتمة التي يقضي فيها هذا الأسير وقته فتكون دافعاً له للاعتراف .

٢ – رسالة عدم الجدوى من الصمود:

بعد رسالة الخوف السابقة تأتي هذه الرسالة مكملة لها بل هي نتاج لها وجزء منها ، فيبدأ العميل بإقناع الأسير بصورة مباشرة أو غير مباشرة بأنه لا يستطيع الصمود :

أ * فقدرة الاحتلال والشاباك عالية جداً ، وإمكاناتهم لا محدودة ، وأنهم يعرفون كل صغيرة وكبيرة ، ولا مجال لإخفاء أي شيء عنهم ، وأنه لا داعي لمجرد المحاولة ، فتقدمهم الإلكتروني وعملاؤهم المنتشرون في كل مكان ، وأجهزتهم الأمنية الفاعلة لا يمكن خداعها ، ولا يكاد يخفى عليها شيء ، ثم يبدأ العميل بالاستدلال بنفسه ، إذ أن المحقق حدثه بكل شيء عنه حتى أخبره بالأكلة الأخيرة التي أكلها قبل اعتقاله ، وما كان بينه وبين زوجته .... وهكذا .

ب * في هذا السياق يستخدم الصرصور عبارات عدة توصل هذه الرسالة ، فالكف لا يلاطم المخرز ، وهذه دولة ونحن أفراد ، وأين نحن من هذه الدولة ، لقد هزمت دولاً وجيوشاً مجتمعة فكيف بشخص ضعيف في التحقيق ، والمخابرات تمتاز بالنفس الطويل ، فهم جهاز قائم ومدرب على هذا

العمل ، والمحققون موظفون يمكنهم البقاء مع الأسير في التحقيق لفترات طويلة ، فهذا عملهم وليس لديهم عمل آخر ، وإن التجارب تؤكد على ذلك .

ج * ثم ينتقل ليقول أن أسماء كبيرة ورموزاً بارزة سقطت واعترفت ، وأن الجميع يعترفون عند هؤلاء ، فالشيخ الفلاني اعترف على نفسه وأهله ، والقائد الفلاني تحدث بكل ما عمله في حياته ، والزعيم فلان قال كذا وكذا ... فكيف بك أنت ؟؟ .

د * ثم تكون الإشارة إلى مركز التحقيق ذاته الذي يتواجدون فيه ، وأنه الأسوأ والأقسى والأصعب ، وأنه المكان الذي استشهد فيه فلان ، وعلى يد المحقق فلان _ الذي يحقق مع ذاك الأسير _ وأن هذا المركز للحالات الخطرة والمستعصية .

هـ * بعد ذلك يشير إليه أنك ستعترف أولاً أو أخيراً ، فما الداعي لأن تصمد وتتعب وتتلقى الضرب والأذى ثم بعد ذلك تعترف ، وقّر على نفسك الوقت والجهد ، ويضرب على نفسه مثلاً أنه حاول الصمود طويلاً ، لكنه أخيراً تكلم ، فلا هو أراح نفسه ولا حافظ على المعلومة .

و * وقبل أن ينهي هذه الرسالة (عدم الجدوى من الصمود) يقول للأسير : ستحكم على قانون تامير _ هذا إن كان عليه اعترافات _ وبالتالي اعترفت أم لم تعترف ستتم إدانتك ، فإن اعترفت فلن تحكم إلا على ما تقول ، أما إن لم تعترف فستحكم على ما قيل عنك .

وإن لم يكن على الأسير اعترافات ، فإن العميل يقول له : لن يسمحوا لك بالخروج من السجن ، بل سيعطونك إداري ، فاعترف خير لك من الإداري ، فالقضية معروف مقدار حكمها ، أما الإداري فلا نهاية له .

كل هذه الرسائل توصلك إلى ذات القناعة الخاطئة (لا جدوى من الصمود) ، بينما الحق أن الجدوى كل الجدوى في الصمود ، وأن كل ما يقوله الخائن ما هو إلا ضرب من التضليل الذي يقود إلى الهاوية .

٣- ترتيب الاعتراف :

إذا شعر العميل بأن الأجواء أصبحت ملائمة ، يبدأ بالنفاذ إلى داخل الأسير عبر إشعاره بأن الحل ليس بالصمود ، إنما (بترتيب الاعتراف) وإخراجه بصورة حسنة ، أي أن مبدأ الاعتراف ثابت ولا بد منه ، ويبقى الدور على البحث في الكيفية الأنسب والأمثل للاعتراف ، فيلعب العميل دور الصديق الناصح الذي يوجه صاحبه نحو أسلوب الاعتراف والتعاطي الأمثل مع المحقق ، فينتقل الأسير من التفكير بالصمود إلى التفكير بالاعتراف .

٤- الكـــذب :

يعلم من جرب التحقيق ، ودخل سجون الصهاينة ، أنهم يستخدمون أسلوب الكذب في كل شيء ، وأن الأصل في الأسير أن يعتبر كل ما يسمعه في التحقيق كذباً ما لم يثبت العكس ، ومن أساليب الكذب التي يمارسها عميل الزنزانة أو عميل البوسطة إيهام الأسير أن أبناء مجموعته وقضيته قد اعترفوا بكل شيء ، وأن التفاصيل قد تكشفت ، ولذا لا داعي للإنكار فكل شيء بات على الطاولة.

هذه الرسالة التي يستخدمها المحققون كثيراً يعاود العملاء استخدامها ، ويعمدون إلى إيصالها بطرقهم لينهار الأسير ويكون السقوط .

ودور العميل هو ذكر هذه المعلومة أمام الأسير بصورة تظهر أنها عرضية ، فيتظاهر العميل عند لقاء الأسير أنه لا يعرفه ولا يعرف عن قضيته شيئاً ، ولا يعرف من أبناء مجموعته أحداً ، فيدور بينهما حديث عادي ، يصل إلى أن يذكر العميل أنه التقى أسيراً آخر اسمه فلان وهو ابن مجموعة الأسير الذي يجلس معه ، وأنه سمعه يتحدث عن اعترافاته ، وأنه أنهى التحقيق ووضع كل ما لديه ، فيدفع الأسير لمعرفة التفاصيل ، ويسأله ماذا سمع منه وهل ذكر اسمه ، فيبدأ العميل بذكر بعض القصص المراد انتزاعها منه ، ويقول أنه سمع صاحبه يذكرها ، ويقول أنه اعترف بها ، عندها يصاب الأسير بالإحباط ، ويقتنع بصحة أقوال المحقق ، فلا يجد مفراً من الاعتراف ، أو على الأقل اعتراف يخرج _ برأيه _ بأخف الضررين .

٥ – الأسلوب العاطفي :

في أجواء الزنزانة الكئيبة ، المليئة بالوحدة ، يحتاج الأسير إلى شيء من العاطفة ، فهو بعيد عن الأب والأم والأخ والأخت والزوجة والأبناء ، وحتى الأصحاب والخلان ، فتراه يتذكرهم ويسرح في خياله معهم ، فأحياناً تدمع عيناه ، وأحياناً يغالبه شديد الشوق فتخرج بعض العبرات والزفرات.

في تلك اللحظات يستخدم العميل الأسلوب العاطفي ليدخل إلى قلب الأسير ، فيتقرب منه ويستخدم الأسلوب العاطفي كذلك لإضعافه وهز نفسيته من الداخل ، وقد يدخل مع الأسلوب العاطفي عبارات تثبيط وإحباط تأتي في وقتها فتصيب الأسير في مقتل ، وتوصله إلى القناعة التي تريدها المخابرات

* الرسائل الخمسة السابقة تهدف إلى تهيئة الأسير عبر هز نفسيته وإضعاف همته واستعداده للصمود .

أما الرسائل القادمة فهي تهدف إلى تهيئته عبر تضليله معلوماتياً ، والتشويش على ما يمكن أن يكون قد تعلمه عن أساليب التحقيق .

٦- تضليل (عبر عميل البوسطة) :

أساليب التضليل التي يتبعها الصراصير كثيرة ، منها أن يكون الأسير في طريقه إلى (غرف العار) ، فيلتقيه العميل ، ومن خلال محادثة ثنائية (قد تكون المحادثة قبل الخروج من الزنزانة ، أو في الممر أو في البوسطة) يقول له العميل أننا متوجهون إلى غرف المجاهدين ، وأنه سبق أن اعتقل ، وأن الإجراءات التي حصلت معهما من تبصيم ونزول عند الشرطة وكتابة الإفادة ونقل من الزنازين ، إنما هي إعلان عن نهاية مرحلة التحقيق ، وبالتالي يطمئن الأسير _ الذي يعتقل للمرة الأولى _ أنه ذاهب إلى إخوانه الأسرى وأبناء تنظيمه ، فلا يتردد كثيراً في إعطائهم ما يطلبون .

٧ – تضليل عكسي :

قد يكون الحديث عكسياً فيبدأ العميل حديثه مع الأسير عن غرف العصافير ، دورها وأشكالها ، ومواصفاتها وعددها وأماكن تواجدها وعدد العملاء فيها وأشكالهم وأسمائهم لكنه في الحقيقة يعطي مواصفات مغلوطة بعكس المواصفات الحقيقية لغرف العار التي سيتجهان إليها .

يقول العميل للأسير : إذا دخلت هذه الغرف _ التي وصفها له _ فهم عملاء صراصير ، لا تتحدث إليهم بشيء عن قضيتك ، أما إن دخلت غرفاً أوصافها (كذا وكذا ..)_ ويبدأ بذكر أوصاف صحيحة عن غرف العصافير _ فهذه غرف المجاهدين غرف إخوانك الذين يمكنك الوثوق بهم .

وعندما يصل الأسير إلى غرف العصافير ، يتذكر ما قاله له صديقه " العميل " فيجد المواصفات لا تنطبق على ما ذكره عن غرف العار ، فيطمئن إلى أنه بين إخوانه ، فتكون الثقة التي تدفعه للكلام .. والسقوط .

يتبع هذه النقطة أن العميل يتحدث للأسير عن المخول الأمني _ الذي هو في حقيقته كبير عملاء غرف العار ، والمكلف بانتزاع المعلومة من صدور المجاهدين والمناضلين _ ، يبدأ العميل بالحديث عن المخول الأمني على أنه مكلف تنظيمي ومناضل ذو خبرة ، كلفته التنظيمات ليستمع إلى قضايا الأسرى وهو أمين ثقة ، ولا يحق لأحد أن يستمع إلى قضايا الأسرى إلا هو ، فلا تتحدث إلا إليه .. إلخ .

فإن صدّق الأسير وقع في الفخ ، ووضع ما يملك من معلومات بين يدي عدوه مجاناً .

٨- خداع بالقدوة .

إذا دخل العميل مع الأسير إلى غرفة العصافير يكون مكلفاً بدور خبيث يقوم به ، فهو صديق الأسير في الزنزانة ، أو على الأقل رآه الأسير يدخل إلى الغرفة فعرف أنه ليس من طاقم الغرفة الأصليين .

ومع بدء المخول الأمني بالعمل ، يقصد سؤال ذاك العميل فيسارع العميل إلى التجاوب معه والوثوق به ، ويمسك قلماً وورقة ، ويبدأ بكتابة أعماله الجهادية والبطولية ، فإذا رأى الأسير ذاك المشهد ، فإنه يميل إلى التصديق والقناعة ، فيحذو حذو ذلك العميل ، ويجيب على ما يوجه إليه من أسئلة فتكون الهاوية .

وقد يعمد العميل إلى حبك المسرحية بصورة أدق ، فيرفض الحديث بداية ، ثم يبدأ بالاستفسار وتوجيه بعض الأسئلة ، حتى يقول أنه اقتنع أنهم شرفاء ، وهكذا لا تنتهي حيل الخونة وأسيادهم للوصول للمعلومة .

وقد يتوجه الأسير إلى ذاك العميل ليسأله ويستفسر منه بعد أن رآه يكتب إفادته ، فيجيبه العميل بأنهم شرفاء ، وأنه اختبرهم وأنه يعرف بعضهم ، وأن خبرته الأمنية تكشفهم لو كانوا عملاء ، بل إنه كتب عندهم قضية توصله إلى المؤبد ، ومع ذلك فالحال كما ترى ، فيدفع ذلك الأسير نحو التصديق والهاوية .

٩- خداع عكسي :

مارس العملاء دوراً تضليلياً خداعياً خبيثاً آخر ، ففي الطريق إلى غرف الصراصير يقوم العميل بإخبار الأسير أنهم في طريقهم إلى غرف العار ، وأنه متأكد من ذلك بحكم التجربة والخبرة ، ويبدأ بتحذير الأسير منهم ومن الحديث معهم عن أي معلومة مهما صغرت ، ويخبره بمواصفاتهم الصحيحة ، وأنه لن يمكث عندهم طويلاً فليصمد ، ثم يتحدث له عن أساليبهم ووسائلهم .

يدخل " الصديقان " غرفة العصافير ، فتكون كما ذكرها ، ويبدأ العصافير بالتصرف بصورة تكشف أمرهم وتبرز هويتهم ، فلا يلبث الأسير أن يتعرف عليهم ويدرك أنهم عملاء " كما أريد له" عندها يقوم الاحتلال بسحبه من عندهم ويعودون به إلى غرف التحقيق ، ويقولون له أنه كشف العصافير ، ثم يتوجهون به إلى غرفة عصافير أخرى ، أو يفعلون ذلك مباشرة دون أن يعودا به إلى غرف التحقيق ، في تلك اللحظة يقع الأسير بالتالي :

أ/ إذا كشف الأسير العصافير _ مستعيناً بتوصيف العميل _ فإنه يثق بهذا العميل ، ويشعر نحوه بالامتنان ولا يشك فيه بتاتاً ، كيف لا وهو الذي أرشده فأنقذه ، فإذا حصلت هذه الثقة استخدمها العميل في انتزاع المعلومة من الأسير ، أو أدخله الاحتلال معه على غرف عصافير أخرى ، يكون دوره فيها أن يطمئن الأسير إلى أن هذه ليست غرف عصافير ، فيصدقه ، لأنه علم بالتجربة أن

هذا الشخص صاحب خبرة ، فهو الذي كشف غرف العصافير السابقة ، وبالتالي فهو أعلم منه بأن هذه ليست غرفة عصافير ، فيقع في الحبال .

ب/ يطمئن الأسير إلى أنه كشف غرف العصافير ، ونجا من هذه المرحلة بعد أن خاض غمارها ، فإذا أدخل إلى غرفة العصافير التالية ، والتي تختلف في أشخاصها ومواصفاتها وأسلوبها ، اطمأن إلى أنهم إخوانه فوثق بهم ، ولم يخطر بباله أن الاحتلال يمكن أن يدخله أكثر من مرة على غرف العصافير ، فيسلم لهم ما يملك من كنوز وأسرار ، فيكون الانهيار .

وقد مر علينا في السجون إخوة أدخلهم الاحتلال إلى غرف العصافير في موقع بعد موقع ، وهم يكشفونها حتى أدخلوهم إلى أربعة مواقع ثم كان السقوط فاحذر ..

٢- انتزاع المعلومة :

الدور التالي الذي يقوم به الخونة خدمة لأسيادهم الصهاينة هو انتزاع المعلومة من الأسير وهو الدور الأهم للعملاء ، وواقع السجون يشير بوضوح إلى الدور الذي قام به العملاء في انتزاع الاعترافات .

يمارس الخائن هذا الدور بتوجيه من أسياده مستخدماً أساليب مبنية على دراسة وبحث وتجربة ، أساليب متكررة منها :

١- السؤال المباشر :

الأسلوب البعيد عن أي تمويه وتورية ، يقوم على السؤال المباشر المغلف بغلاف من العفوية ، بحيث يظهر الحديث عادياً ، يتساءل العميل عن قضية " صديقه " الذي يتقاسم معه الزنزانة ، فيبدأ الأسير بالحديث ، فإذا علمنا أن الأسير في تلك المرحلة يتوق للحديث مع أي كان وفي أي موضوع يطرح ، خصوصاً أنه أمضى جزءاً من الوقت منفرداً في زنزانته ، فإذا دخل عليه أسير آخر اندفع للحديث معه ، وأكثر ما يشغله هو القضية التي اعتقل عليها ، وبالتالي فإن الحديث عنها محبب

مرغوب به ، فإذا بدأ بالحديث عن قضيته ، بدأ العميل بسؤاله عن بعض التفاصيل التي تقود إلى الحديث عن المستور ، إلا أن هذا الأسلوب أقل استخداماً من غيره ، رغم تكرار استخدامه .

٢ – الاستدراج :

ويمكن أن نسميه (استخدام أسلوب البطولة) ، فإذا أراد العميل أن لا يسأل ضحيته مباشرة ، بحكم أن السؤال المباشر قد يثير الريبة ، فإنه يستدرجه عبر الحديث عن نفسه والتباهي ببطولاته.

يبدأ حديثه في الزنزانة بذكر صنوف التعذيب التي تعرض لها ، وأنه منذ ثمانين يوماً في تحقيق متواصل ، دون أن ينبس ببنت شفه ، ويسهب في ذكر أساليب التحقيق التي تعرض لها ليحقق من ذلك أغراضاً عدة ، منها أنه يصبح أسطورة في نظر الأسير ، يعجب به ويتقرب إليه ، ويستشيره في قضيته وما عليه أن يفعل ، ويثق به وبقدرته ، كما يحقق هدفاً آخر هو إرهاب الأسير وتخويفه من أساليب التحقيق وقد سبق الحديث عن هذه النقطة .

بعد ذلك يشرع العميل في التباهي ببطولاته " المصطنعة " في الخارج ، فيذكر أعماله الجهادية ووقوفه في وجه العدو ، ويحاول الضرب على وتر يحاكي قضية الأسير حتى يلامس مكامن قلبه ولا ينسى أن يشيد بما يفعله المجاهدون والمناضلون .

فإذا وقع الأسير في الفخ اندفع ليظهر لجليسه أنه لا يقل عنه شأناً بل يزيد ، وأنه يملك صفحات بطولة ووقائع مقاومة ومشاهد عزة ، فيكشف المستور ويبوح بالأسرار بل لعله يزيد على ما فعل.

٣– المخول الأمني :

إذا دخل الأسير غرف العار فإن مسرحية متكاملة العناصر ، محبوكة الفصول تبدأ ، بل إنها بدأت فعلاً من داخل غرف التحقيق ، فالزنزانة ، فالبوسطة ، وما يتخلل ذلك من مهيئات ومضللات سبق الإشارة إليها ، ثم تبدأ الفصول التالية من المسرحية مع دخول الأسير إلى غرفة العصافير ، حيث العناصر مجتمعة تمثل أدواراً تضليلية ، تعمل بانسجام وتجانس والمستهدف هو الأسير.

من بين عناصر المسرحية لاعب رئيس هو (المخول الأمني) أو الموجه الأمني ، فهو المكلف بسحب الاعتراف من الأسير ، يقوم البقية بتهيئة الأجواء له للنجاح ، ويمهدون له الطريق لإتمام المهمة ، حيث يبدؤون بإيصال الرسائل للأسير وهو المؤهل لدراسة الملفات ومعرفة مواطن الخلل ، ويطلبون من الأسير عدم الحديث في قضيته إلا مع هذا المسؤول .

فإذا حضر المخول الأمني أجرى لقاء مع الأسير تراه يديره بحكمة ، بدءاً من ملاطفته ، ثم مدحه وإكرامه ، ثم شرح الحاجة التنظيمية للتعامل مع المعلومات التي يذكرها ، ثم يسأله عما لديه من معلومات بصورة مباشرة ، عبر السماع والاستفسار ، والطلب منه أن يكتب التفاصيل التي لديه عن قضيته للاستفادة منها وتقييم الضربة ، ولوضع التنظيم في صورة التفاصيل .

فإن استجاب الأسير انتهت المسرحية ، وإلا حاول المخول الأمني بكل الطرق لإقناعه ، وعاد للحديث معه مرات ومرات ، وحاول طمأنته بوسائل سنذكرها في الصفحات القادمة ، حتى يكتسب ثقته ويوقع به وينتزع منه الاعتراف .

٤ – لقاء الملثم :

قد تتطور الأمور ، فيخبر الصراصير ضيفهم الأسير المستهدف أن مسؤولاً ملثماً سيستمع إليه ، ويشرحون له سبب تلثمه بحيث يظهر له أن ذلك زيادة في السرية والحرص ، وأن هذا المسؤول على درجة من الأهمية ولا يريد لأحد أن يكشف أمره ، وأنه ما حضر إلا لأهمية قضية الأسير وكبر حجمها والنتائج المرجوة من البحث في تفاصيلها.

فتجري المقابلة ويتحدث فيها الأسير عن قضيته ويجيب عن التساؤلات الموجهة إليه من "الزعيم الملثم " ، وبعد أن يبوح الأسير بما لم يقله في التحقيق ، يكشف الملثم عن وجهه وإذا به أحد هؤلاء المحققين الصهاينة ، حتى يكون انهيار الأسير حتمياً ، فلا يجد الأسير بداً من الاعتراف وأحياناً يكون الملثم أحد العملاء فيحمل الاعتراف ويضعه بين يدي أسياده .

٥ – الرسائل التنظيمية :

في غرف العصافير تبدأ الأساليب تتواتر ، كلها تصب في خانة سحب المعلومة ، كلما فشل أسلوب جاء غيره يدعمه ، ومنها أسلوب الرسالة التنظيمية ، تصل رسالة مغلقة باسم الأسير المستهدف ، فإذا فتحها وجدها ممهورة بختم التنظيم موقعة باسم تنظيم الحركة داخل السجن أو خارجه ، تبدأ بتهنئة الأسير بالسلامة وشكره على الصمود ، والتأكيد على أنه بين إخوانه ، وتطلب منه أن لا يتحدث لأحد بقضيته إلا للأخ المسؤول ، وتطلب منه أن يكتب جميع التفاصيل للحاجة الماسة لها ، إذ أن خللاً حدث لا بد من تداركه ، أو ثغرة وجدت ولا يعرف سببها ، ومعلوماته هي التي ستوقف الضربة وتصلح الخلل.

هذه الرسالة قد تحوي أفكاراً أخرى عديدة ، مثلاً أن تخبر الأسير أن الإخوة في الخارج يجهزون لعمل عسكري وأنهم يحتاجون لمزيد من السلاح أو المواد ، ويطلبون منه إرشادهم إلى موقعها ، أو أي رسالة تتناسب مع تهمة الأسير والمعلومات المطلوبة منه .

ولا ينسى الخونة في نهاية الرسالة أن يطلبوا من الأسير أن يقوم بإتلافها حتى لا يطلع عليها أحد ، وأن يحكم إغلاق الرسالة التي سيكتب فيها التفاصيل التي طلبت منه ، وأن لا يطلع على ما فيها أحداً ، وأن يعطيها للأخ المسؤول فقط ، وهكذا يمضون في وضع الضوابط الأمنية الكاذبة زيادة في إتقان الخطة .

يتبع لهذا الأسلوب استخدام الرسائل غير التنظيمية ، كأن يوصلوا للأسير رسالة على أنها من ابن قضيته ، أو من صديق له أو شيخ يعرفه ، يطمئنه فيها بأنه موجود بين إخوانه وأن عليه أن يثق بهم وأن يستجيب لهم .

٦- استخدام الشرفاء :

كثر استخدام أسلوب غاية في الخبث والدهاء ، وهو استخدام أسرى شرفاء ومناضلين كأداة في انتزاع المعلومة من إخوانهم دون أن يدركوا أنهم أداة بيد العملاء وأسيادهم ، ويكون ذلك على عدة صور :

منها أن يتم تكليف أحد أعضاء الخلية المناضلة كموجه أمني أو أمير غرفة ، أو محاضر في البرنامج الثقافي ، فإذا أدخلوا عليه أحد أعضاء مجموعته ، والذي يكون مستهدفاً ، فإن هذا الأخ يقوم بسؤال ابن مجموعته _ المستهدف _ عن التفاصيل التي يريدها العصافير ، ولأن الأخ يثق به يقوم بالإجابة على الأسئلة ويستجيب لطلباته .

وقد يكون دور الأخ أن يطمئن ابن مجموعته ويزرع فيه الثقة بالواقع ، فعندما يدخل الأسير ويجد ابن مجموعته في المكان يطمئن لذلك ، فإن ارتاب في شيء سيتوجه بالسؤال إلى ابن مجموعته ، عندها سيطمئنه ويطلب منه عدم الشك في الموجودين ، فهم " مناضلون" مثلنا ، ويجب أن نصارحهم ونستجيب إلى أسئلتهم .

وصورة أخرى قريبة ، بأن يكون الأسير شخصية معروفة ، فإذا دخل غرف الصراصير أظهروا له الاحترام والتبجيل ، وأصروا على تكليفه أميراً للغرفة ، أو مسؤولاً فيها ، أو حتى إماماً للصلاة ، فإذا دخل الأسير المستهدف إلى الغرفة ووجد الشيخ الفلاني المعروف والذي كان يراه خطيباً أو مسؤولاً ورآه أميراً للغرفة فإنه يطمئن إلى أنه في غرف أسرى شرفاء ، فيطمئن ويجيب على ما يوجه له ، فتكون الطامة .

وقد حصل في تجربتنا الفلسطينية أن استمر أحد الوجوه البارزة لفصيل وطني في انتزاع الاعتراف من الأسرى لشهور عدة بعدها تبين له أن جهله أوقع بعشرات الأسرى ، بعضهم غيبه السجن سنين طوال .

٧- الإشاعـات :

أثناء وجود الأسير في غرف العار يكون الاحتلال وأذنابه قد أعدوا عدداً من الإشاعات التي يمكن أن يستخدموها للإيقاع بفريستهم .

منها أنه يقوم بدبلجة خبر على التلفاز أو إحدى وسائل الإعلام يشير إلى استشهاد مجاهد على صلة بهذا الأسير ، يظن العدو أن له أعمالاً جهادية مع الأسير ، أو يعلن أنه كشف هيكلية العمل

العسكري في تلك المنطقة ، أو أن عميلاً تم كشفه داخل الحركة في هذه المنطقة ، أو أي خبر يتعلق بقضية هذا الأسير .

فور سماعه لهذه الإشاعة على أنها خبر أكيد تبدأ ملامح التوتر بادية عليه ، ويقع في هواجس صعبة ، ويمكن أن يتصرف بشكل مربك ، وقد يتصرف بطريقة خاطئة ، كأن يطلب من "التنظيم" _ الصراصير _ مساعدته في إيصال معلومات إلى الخارج ، فيتلقون ذلك منه بحماسة ، فتكون الوقيعة ، فإذا لم يبادر هو بادر العملاء بسؤاله عن سبب توتره ، واستدراجه بالحديث ، وإن لم يكن هذا ولا ذاك ، فإنهم يبدؤون بمراسلته باسم " التنظيم " وإخباره أن الإخوة في الخارج بمأزق ويحتاجون مساعدته ، وأن معلوماته ستفك اللغز الذي لا يستطيع إخوانه حلّه خاصة مع استشهاد فلان .

أحياناً تأتي الإشاعة عبر الإعلان عن تبني تنظيم فلسطيني آخر لعملية جهادية يتوقع الاحتلال أن هذا الأسير هو المسؤول عنها أو على علم بها ويبدأ العملاء بالتهليل والهتاف لذاك التنظيم استفزازاً واستثارة للأسير ، وقد يسعون إلى زيادة الفبركة ، بأن يتناظر اثنان منهم كل يقول أنها لتنظيمه ، ويدخلون في جدل يستدرج الأسير إلى إعطاء إشارة صريحة أو بالتلميح إلى الجهة المنفذة .

وأشكال الإشاعة كثيرة جداً يصعب حصرها ، إلا أن جوهرها واحد (إشاعة للاستدراج) فاحذر.

٨- استخدام البلفون :

بعد أن تمكن الأسرى من تهريب البلفونات إلى السجون ، بدأ الصراصير العملاء باستخدام هذا الأسلوب في الإيقاع بالأسرى ، فعامة الشعب يدركون أن لدى الأسرى أجهزة بلفون مهربة ، ولذا لا يستغرب الأسير عندما يخبره العملاء أن بإمكانه التواصل مع من يريد .

لكن العملاء لا يستخدمون هذا الأسلوب بشكل مفتوح ، حتى يحققوا من خلاله هدفهم ، فبداية تراهم يتصرفون مع الأمر بصورة أمنية مشددة ليعطوه هالة ، وأنه لا يمكن لأحد استخدامه إلا بإذن خاص ، ولحاجات محددة ، وأحياناً يطلب الأسير استخدامه بإلحاح ، بينما يكون قرارهم بمنع استخدامه ، فإما أن يبلغوه ذلك متذرّعين بالحالة الأمنية ، أو أنهم يحضرون له جهازاً لا يوجد فيه بث (لا يرسل

ولا يستقبل) وعندما يحاول استخدامه لا يستطيع ، فيخرجون ذلك بطريقة مسرحية تقول أن الاحتلال شغل أجهزة التشويش قبل لحظات .

وأحياناً يكون الإعلان عن وجود جهاز بعد الإشاعات التي قدمنا لها في البند السابق ، فيعطونه إياه ليتصل بتنظيم بلده ليكشف من هو المسؤول ، أو حتى دون إشاعة ليوصل رسالته إلى أبناء مجموعته فيتعرفون إليهم ، أو ليتصل مكالمة يظن أن أحداً لا يسمعها بينما هي مسجلة مراقبة .

ويتطور الأمر أحياناً إلى أن يخبروه بأن اتصالاً تنظيمياً جاءه ، ويعطيه البلفون ليرد عليه ، وعلى الطرف الآخر من الخط الهاتفي يتحدث " التنظيم " يبدأ بالترحيب بالأسير ، ثم يصل إلى استفسار عن قضيته ومحاور حساسة فيها ، وسؤاله عن نسبة الخسارة في المعلومات ، وعن المعلومات التي لا زال يحتفظ بها .

٩- استخدام القرآن والأجواء الروحانية :

أحياناً يكون الأسير المستهدف من النوع العاطفي الذي يتأثر بالأجواء الروحانية ، دون أن يعمل عقله في تحليل الموقف لاتخاذ القرار الأمثل ، ويكون لدى جهاز الشاباك معرفة وعلم بذلك ، فيستخدم العملاء بإيحاء من أسيادهم الأسلوب الذي يناسب هذه النفسية .

فتراهم عقدوا مع الأسير جلسات وحلقات روحانية تخللها وعظ وأذكار وتسبيح ، وتبدأ دموع التماسيح تهطل من عيونهم ، حتى يراهم الأسير من الصالحين ، ويستصغر نفسه أمامهم ، ثم للإجهاز عليه يضعون المصحف بينهم ويتعاهدون على الأخوة في الله ، وأن عرضه هو عرضهم وسره سرهم وأنهم معه في السراء والضراء .

وبعد تلك المسرحية المبكية يكونون قد وصلوا إلى قلبه ، وغيبوا عقله ، واكتسبوا ثقته ، فيدخلون إلى مبتغاهم ، ويسألون عن حاجتهم ، مع وجود المصحف بينهم ، والأيادي لا زالت ممدودة إليه ، تقسم على حفظ الأسرار ، فلا يجد الأسير مانعاً من الإجابة على تساؤلاتهم ومجاراة مطلبهم ، وتسليمهم رقبته .

١٠ – العزل والمقاطعة :

عندما يتوجه العملاء باسم التنظيم إلى الأسير بطلب كتابة ما لديه من معلومات أو إخبارهم بها ثم هو يرفض ذلك ، يستخدمون معه وسائل عدة ويقومون بالضغط عليه عبر الوسائل غير المباشرة كالتي ذكرناها من استدراج وضغط ورسائل مغلقة ومكالمات ، فإذا أصر الأسير على صموده وصمته ، ورفض الحديث فإنهم ينتقلون إلى أسلوب شديد على النفس هو أسلوب العزلة والمقاطعة.

يقوم المكلف " المسؤول " بإخباره أن إصراره على الرفض يعني أنه يخالف اللوائح التنظيمية والأعراف الاعتقالية ، وأن هذه المخالفة تعرضه للمساءلة والمحاسبة ، وأن صبر التنظيم بدأ ينفد، فإن أصر على موقفه نادى مناد يجمع الأسرى في الغرفة ، ويتلو أحدهم تعميماً تنظيمياً يعلن فيه أن فلاناً (الأسير) خالف القوانين واللوائح التنظيمية ، وأن مخالفته هذه من النوع الخطير ، لأن رفضه الحديث يعني أنه مصر على تعريض إخوانه للخطر ، إضافة إلى أن رفضه للحديث يعني تخوين إخوانه تنظيم السجن ، وعليه فإن التنظيم قرر تطبيق اللوائح بعقابه بالمقاطعة ، ولذا يحظر على أي أسير أن يجالسه أو أن يحادثه أو أن يرد عليه السلام إلا المسؤول التنظيمي .

وتبدأ مرحلة مقاطعة قاسية يلزم فيها الأسير برشه ، ويمنع من مغادرته إلا للحالات الخاصة ، ويقاطعه الجميع ، فلا يجد من يتحدث إليه أو يرد عليه أو يوفر احتياجاته ، هذه الحالة تضعه في حيرة وضيق ، وكثيراً ما تدفعه إلى الحديث استجابة " للتنظيم " وخروجاً من الحالة المؤلمة التي وصل إليها .

١١ – التهديد والاتهام بالعمالة :

إذا صمد الأسير مقابل ذلك كله ورفض أن يتعاطى مع كل الدعوات التي تطلب منه تسليم ما لديه من معلومات ، ولم يردعه أسلوب المقاطعة بدأ العملاء بالتلويح بأن صبرهم آخذ بالنفاذ ، وأن التنظيم يتعرض للخطر بسبب عناده ، ولذا فإنهم مضطرون إلى استخدام وسائل عنيفة للحصول على المعلومة التي " ستنقذ التنظيم " ، فيلوحون له بالضرب واستخدام القوة ، ثم يباشرون بأعمال تشير إلى عزمهم تنفيذ تهديدهم .

ثم يبدؤون بالإشارة إلى أن هذا الأسير عميل لجهاز الشاباك ، وأنه لا يريد الحديث لأنه هو المتسبب بالضربة ، وهو الذي سلم إخوانه ، ويصدرون فيه بياناً يتلى أمام الأسرى ، ويضعونه في الزاوية ، ويغطون برشه ببطانية ، تمهيداً لمرحلة استجواب .

عندها قد يضيق الأسير ذرعاً بكل ذلك ويبدأ بالتفكير بالدفاع عن نفسه بذكر ما لديه من معلومات ، فهو شريف بل مناضل له أعمال جهادية ، ومع ذلك تنظيمه يتهمه ، يؤلمه ذلك فيبوح بما لديه ليقول لهم : إنني لست عميلاً بل مجاهد ، ولدي الأعمال الفلانية ، وأنا المسؤول عن كذا وكذا ، وإن لم تصدقوا براءتي فاسألوا فلاناً وفلاناً (أبناء مجموعته) ، فيكون حينئذ قد وقع في الفخ ، وما علم أنه لو صمد قليلاً لخرج من مأزقه دون الحاجة للبوح بما لديه من أسرار .

في باب الاتهام بالعمالة فإن عميل الزنزانة أحياناً يستخدم هذا الأسلوب بصورة مختلفة ، هدفه إحداث صدمة للأسير تربكه فتدفعه للاعتراف .

فهو بعد أن يدخل على الأسير في زنزانته يتبادلان أطراف الحديث ، وفي الوقت المحدد يصرخ عليه متهماً إياه بالعمالة ، ويتعالى صراخه إلى درجة تربك الأسير ، فتجهز عليه المخابرات في تلك اللحظة التي يكون فيها ضعيفاً .

١٢ – الضـرب :

رغم أنه أسلوب نادر الحصول ، ولا يكاد يتكرر إلا أننا نثبته كأسلوب سبق استخدامه ، وعلى أي حال فلن يكون العملاء أكثر قسوة في ذلك من أسيادهم .

فقد يكون قرار الشاباك بأن يقوم العملاء بتوجيه ضربة محدودة للأسير لإرهابه ، عندها يكون العدو قد استنفذ كافة أساليبه ، وبعدها لا يمكن أن يمكث الأسير عندهم إلا قليلاً .

١٣ – الإبعـاد :

أسلوب نادر آخر ، استخدمه الاحتلال في أقبية التحقيق ، نذكره ليدرك كل منا أن الاحتلال لا يتورع عن استخدام أي أسلوب للحصول على المعلومة ، ولندرك في ذات الوقت أن كل الأساليب مهما

علا شأنها يمكن مواجهتها والصمود في وجهها ، بذات القاعدة ، وهي أن أي إنسان لا يحق له أن يسألك عما فعلت .

فقد سبق أن استخدم الاحتلال أسلوب الإبعاد مع عدد من قادة ونشطاء الأسرى ، ومنهم الشهيد (محمود المدني) ، وذلك بإبلاغه أنه مبعد إلى جنوب لبنان ، وفعلاً طاروا به إلى هناك ، وأدخلوه عبر نقطة حدودية ، وتركوه ليتوجه إلى نقطة عسكرية داخل الأراضي اللبنانية ، هذه النقطة ترفع علم المقاومة ، وتضع صور رموزها ، فاستقبلوه استقبال الأبطال ، وأظهروا له الحفاوة ، وحاولوا استدراجه للحصول على المعلومات اللازمة ، لكنهم فشلوا مع شهيدنا البطل ، فلم يعطهم أي معلومة ، بينما نجحوا مع أحد قادة الفصائل الوطنية ، وحصلوا منه على المعلومات اللازمة ، ثم عادوا به إلى السجون الصهيونية مع ما قدمه من معلومات .

بطبيعة الحال ، عندما يجد الأسير نفسه خارج حدود الوطن ، ويظن أنه أفلت من قبضة عدوه ، فإنه لا يتورع كثيراً عن الحديث والتفصيل والمباهاة بدوره وأعماله ومسؤولياته ، وكشف المخفي منها ، وخصوصاً مع الحفاوة والاستقبال الذي يظهره الخونة له حتى يصدق أنه قائد عظيم .

١٤ – العميل الشحرور :

أثناء فترة التحقيق يقوم العدو بإدخال أحد الخونة العملاء على زنزانة الأسير ، يتعارفان فيظهر العميل للأسير أنه منذ فترة في التحقيق ، ولم يثبت عليه شيء وأنه سيخرج خلال يومين، عندها يجد الفرصة مواتية لكي يحذر أبناء مجموعته ، أو أن يوصل إليهم رسالة معينة ، أو أن يخبرهم بمجريات التحقيق ، فيطلب من العميل أن يتوجه إلى (فلان) _ ابن مجموعته _ ويخبره بهذه التفاصيل ، وأن يبلغ باقي الإخوة بذلك ، فيحمل هذه التفاصيل إلى أسياده المحققين .

*** ملاحظـات :**

بعد هذا السرد للأساليب التي يستخدمها الخونة الصراصير لتحقيق أهدافهم فإننا نضيف هذه الملاحظات لتكتمل الصورة :

– يستخدم العملاء أحياناً أسماء مشهورة لكنها غير إعلامية ، فيتسمون بها ، فإذا دخل الأسير إلى غرفة العصافير ، سمعهم ينادون أحدهم بذاك الاسم البراق ، فيلفت نظره ، فترى أحدهم اقترب من الأسير ، أخبره أن هذا هو البطل الذي فعل كذا وكذا ، وبذا يزرع الثقة في نفس الأسير ، كيف لا وهو الاسم الذي ردده في الأناشيد ، أو أعجب به ، أو سمع عنه ، أو قرأ عن بطولته .

– قد يستخدم العملاء أجهزة تسجيل وتصوير لتوثيق الاعتراف الذي يدلي به الأسير ، سواء في الزنزانة أو بين الزنزانتين التي تصلهما فتحة ، أو حتى في غرف العصافير وفي سيارة البوسطة ، وخصوصاً أن الأجهزة الإلكترونية أصبحت دقيقة جداً ، بحيث يمكن إخفاؤها بكل سهولة في الثياب أو في أي شيء دون أن يحس بها أحد ، وجودتها وقدرتها أصبحت فائقة تستطيع تسجيل الصوت والصورة في الظروف الصعبة وذلك يزيد من حاجة الأسير للحذر من قول أي شيء يدينه ، مستذكراً الحكمة التي أصبحت حقيقة واقعة (للجدران آذان) .

– يمكن أن يتعرض الأسير لإحدى الأساليب التي ذكر اسمها ، ويمكن أن يتعرض لأسلوبين أو ثلاثة أو أكثر ، فلا يغتر أحد أنه نجا من أسلوب ويظن أنه لن يتعرض لغيره ، بالمقابل لا تدخل الرهبة قلب أحد من كثرة هذه الأساليب ، فمبدأ النجاة منها سهل ، لمن استعان بالله ، وسنذكر سبل المقاومة في الفصل القادم .

– حتى لو اعترف الأسير بين يدي المحققين في غرف التحقيق ، فإنه معرض لأن يمر بمرحلة العصافير ، وذلك بهدف عصره واستخراج ما تبقى لديه من معلومات وملاحظات .

فالمعلومة التي يذكرها البعض والتي تقول أنه لا يمر بالعصافير إلا من لم يعترف عند المحققين هي معلومة خاطئة ثبت عكسها .

والمعلومة التي تقول أنه لا يدخل غرف العصافير ولا يتعرض لمرحلة الصراصير إلا الأسير الجديد الذي لم يعتقل قبل ذلك معلومة خاطئة أيضاً ، صحيح أن أكثر الذين يدخلون غرف الصراصير هم من الأسرى الجدد ، إلا أن غرفهم مفتوحة للجميع ، والكل معرض للمرور بهذه التجربة ، وقد شهدنا عملياً أسرى اعترفوا عند المحققين أدخلوا بعد ذلك غرف العار للتأكد من معلوماتهم كما شهدنا أسرى

يعتقلون للمرة الثالثة ويدخلون غرف الصراصير ، وعليه ليس لأحد أن يظن نفسه بمنأى عن دخول غمار التجربة فيركن ويطمئن .

– على الأسير أن يصارح إخوانه الذين اعترف عليهم عند العصافير أو في التحقيق ، فيخبرهم بما ذكره عنهم من اعتراف ، حتى ولو لم يكن ذاك الاعتراف مثبتاً في إفادته أو في لائحة الاتهام، فإن عدم إخباره بما اعترف عليهم يزيد من جرمه وإيذائه لأخيه الذي اعترف عليه .

كما أن الأخ المجرب أصبح ذا خبرة وقدرة على نقل تجربته مع العصافير كما هي ، ولذا لا بد أن ينقل ذلك إلى إخوانه القريبين منه وخصوصاً أسرته ومحيطه ، وأولئك الذين يتوقع لهم أن يعتقلوا ويمروا بهذه التجربة .

الفصل الخامس : وسائل مقاومة..

تلك هي بعض أساليب العملاء في تحصيل المعلومات والاعترافات من صدور الأحرار ، وبالرغم من أنها باتت مكشوفة ، وأن تكرارها يفوق التصور ، وأنها لا زالت مستخدمة على مدار عشرات السنين ، بالرغم من ذلك كله وما صاحبه من محاولات توعية ، وتحذيرات من هؤلاء ، إلا أن الإحصاء يثبت أن نسبة من يعترفون لدى الصراصير وبواسطة أساليبهم الخبيثة تفوق نسبة من يعترفون في أي أسلوب آخر .

أمام ما سبق ذكره من أسباب سقوط ، وبعد تشخيص الأساليب والوسائل ، فإننا نصف لمجاهدينا ولكل من يبحث عن الصمود الدواء التالي ..

١/ السرية والكتمان :

عوّد نفسك أيها المجاهد على الكتمان وعدم الثرثرة ، مسترشداً بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان) ، وتذكر أن سرك أسيرك ، فإن بُحت به أصبحت أسيره ، وأن مصرع المرء بين فكّيه ، وأن كلمة تقولها لا تلقي لها بالاً قد تؤدي بك في السجن بضع سنين .

هذا في حريتك قبل سجنك ، فمن غير الداعي لأن تحدث الناس بقضاياك الخاصة ، فإن كانت قضايا أمنية فهي أولى بالسرية ، فلا تحدث أحداً بمهامك وأدوارك وأنشطتك وفعالياتك ، فإن أصبح ذلك عندك عادة ستريحك في سجنك وتحفظك من عدوك .

فإذا كنت في السجن فالقاعدة أدعى للتفعيل : فلا تحدث أحداً بأي معلومة أمنية أو جهادية عنك أو عن أحد من إخوانك إلا ما كان معترفاً به أو معروفاً للجميع ، فإذا التزمت بذلك فأنت في أمان .

٢/ لا تجب أحداً يسألك عن قضيتك .

قاعدة ذهبية للنجاة من الصراصير : لا يحق لأحد أن يسألك في السجن عن تفاصيل قضيتك التي لم تعترف بها عند عدوك ، ونحن نعلنها صريحة ، أننا عملنا في السجن منذ سنوات طوال ، وفي

كل مجال ، لم نصادف هيئة تنظيمية واحدة تسألك ماذا فعلت في الخارج ، وما هي نسبة خسارتك عند المحقق ، وما هي الأمور التي لم تعترف بها ، وإن كنت تريد أن ترسل رسالة أمنية لمساعدة إخوانك في الخارج ، فهذه أسئلة مشبوهة وغير بريئة .

وأي واحد يسألك عن شيء لم تعترف به عند عدوك فهو في موضع اتهام ، وليكن شعارك : ما قلته للمحقق أقوله لإخواني ليعرفوه ، وما لم أقله للمحقق فلا يحق لأحد معرفته ، أو حتى مجرد السؤال عنه ، وهذه من أهم قواعد غرف العار .

وهنا نثبت مفهوماً غاية في الأهمية ، وهو أنه لا يسمح لك بالحديث عما لم تعترف به ليس من باب الشك في المحيط ، بل لأنه يشكل حصانة وأماناً ، وسواء كان الأسرى ثقات أو غير ذلك ، وسواء كنت تشتبه فيهم أم تطمئن إليهم ، فلا يلزمهم معرفة معلوماتك الخفية وأسرارك ، وليس من حقهم السؤال عنها .

نقول ذلك لأنه لو كان دافعك إلى عدم الحديث هو فقط عدم الثقة ، فهذا يعني أنك ستتحدث لو وثقت بهم وهذا خطأ ، إذاً فلتكن قاعدتك دوماً هي عدم الحديث دون النظر إلى الثقة أو الشبهة.

٣/ استعن بالله دائماً :

فهو الحافظ والمثبت والملهم للصواب ، وإن استعانتك بالله تنجيك ، فليس الاجتهاد وحده كافياً ، إن لم يكن مستنداً إلى الاستعانة بالله .

إذا لم يكن من الله عون للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

فإن كنت أسيراً فأنت أحوج إلى معية الله أكثر من أي إنسان آخر ، إضافة إلى ذلك فأنت بهذه الاستعانة تشعر بالاطمئنان الذي يعينك على اتخاذ القرار الصائب ، كيف لا وأنت تشعر أنك استعنت بمن لا يقوى عليه شيء ، ولا يجاري قدرته أحد ، رب الأرباب ، وملك السماوات والأرض ، فأين منه دهاء المحقق ، وخبث العميل ، وقوة دولة الاحتلال .

٤ / ثقّف نفسك أمنياً :

قدّمنا أن السببين البارزين اللذين يؤديان إلى الوقوع في شرك العصافير هما : ضعف التثقيف الأمني ودخول الرياء إلى النفس .

وعليه فإن تحصين نفسك يبدأ من تثقيف نفسك _ قبل أن تعتقل وبعده _ بثقافة أمنية تعينك على الصمود في أقبية التحقيق ، وتبصرك بأساليب العدو في انتزاع الاعترافات ، وكيفية الوقاية منها وتجنبها .

إن التثقيف الأمني واجب على كل أهل فلسطين ، إلا أنه بحقك يا ابن الإسلام أوجب ، فكل مجاهد ومناضل مستهدف هو وأهله وذووه ، فالعدو يعتبر كل مجاهد فينا قنبلة موقوتة يمكن أن تنفجر في وجهه ، ولذا فالجميع عنده موضع ريبة ومكان خطر ، وبالتالي نقطة استهداف ، وهذا يقتضي حسن الاستعداد للحظة المواجهة .

فحاول أن تتثقف بثقافة أمنية شاملة ، تبدأ بمرحلة العمل قبل الاعتقال ، وتتبحر في أساليب التحقيق المختلفة ، متضمنة العصافير ووسائلهم وطرق الوقاية منها .

والتثقيف الأمني يكون بأسلوبين : الأول بالسماع من أصحاب التجربة ، من اكتسب خبرته من التجربة والممارسة ، فخاض تجربة العصافير ، ولذا يستطيع وصفها أكثر من غيره ، وكم من أخ سمعناه يقول " لقد أنقذتني ربع ساعة سمعتها قبل اعتقالي من أخي فلان بعد خروجه من السجن ، فأراحتني من السجن سنين طوال ، أما الأسلوب الثاني للتثقيف فعبر الاطلاع والقراءة والدراسة ، وهذا أشمل من الأسلوب الأول .

٥/ تجنب الرياء يقي مصارع الأعداء :

فالرياء وحب الظهور يدفع الأسير إلى أن يتباهى ويفاخر بما فعل ، فيبوح بأسراره ويكشف أفعاله ومقاومته ، ويصرح أمام غيره بما عمله ونفذه .

بل إن الرياء يدفع أحياناً إلى الكذب ، فيتبنى المرء ما لم يكن مسؤولاً عنه ، ويحمل نفسه أعمالاً لم يكن له يد بها أو حتى معرفة بتفاصيلها ، وقد شهدنا أسرى حكم عليهم بالسجن المؤبد لتفاخر وتباهي عند الصراصير.

ولعل الرياء في مقدمة الأسباب التي تؤدي إلى السقوط عند الصراصير ، فلابد من تجنبه إضافة إلى أنه إثم عند الله ، فلا تجعل في قلبك للرياء مكاناً .

٦/ احذر الانجرار أثناء الحوار :

فقد يبدأ أحد الأسرى (سواء كان عميلاً أو شريفاً) بالحديث عن نفسه وعن قضيته ، ويأخذ بوصف مشاهد وأحداث ، ويسترسل في ذلك ، وتكون أنت شغوفاً بالحديث ، فتبدأ بمبادلته الحديث بمثله ، فتجد نفسك منزلقاً نحو الخوض في التفاصيل ، وفي ذكر ما لم تكن تود ذكره ، فاحذر هذا الانجرار ، وتذكر دائماً أنك أسير ، وأن كلماتك محسوبة عليك ، وأن كلامك يجب أن يكون بقدر الحاجة ، وبأقل قدر ممكن .

٧/ لا تقتدِ بمن اعترف ، واقتدِ بمن صمد :

فإن العميل سيظهر لك أنه اعترف ، وأن هذا لا عيب فيه ، وأن هناك الكثير من الأسرى بل معظمهم يعترفون ، وأن ذلك أمر طبيعي ، وأن القادة يعترفون قبل غيرهم ، ويأخذ بسرد أسماء بعضهم ، حتى تقنع نفسك بأنك لا ترتكب بالاعتراف إثماً أو جرماً ، ولا حتى خطأً فيسهل عليك ذلك ، ويذوب الحاجز الذي وضعته لنفسك في وجه الاعتراف .

والأصل والصواب أن تتذكر أولئك النفر الذين صمدوا وعبروا جميع مراحل التحقيق دون أن يتكلموا بشيء ، وأن بإمكانك أن تشكل نموذجاً مثلهم ، فتكون قدوة صمود ، بدل أن تكون قدوة سقوط ، والحق أحق أن يتبع وإن قل أصحابه .

٨/ لا تقبل أن تقع في الخطأ مرتين :

إذا وقعت عند العصافير ، وبحت بما لديك من أسرار أمامهم _ والأصل أن لا تُخدع _ ثم عدت إلى غرفة التحقيق ليثبتوا أقوالك واعترافاتك ، فاعلم أن بإمكانك سحب هذا الاعتراف وعدم كتابته ، فلا تقبل لنفسك أن تقع في الخطأ مرتين ، مرة بالحديث عند العصافير ومرة تثبيت ما تحدثت به عند المحققين ، فيمكنك أيها المجاهد أن تنكر كل ما قلت ، وأن تجد لنفسك مخرجاً منه ، سواء اقتنع المحقق بأقوالك أم لم يقتنع ، وقد تكرر سحب المجاهدين والمناضلين لاعترافهم الذي أدلوا به عن العصافير مئات المرات والحالات .

٩/ لا تشارك إخوانك في الخارج عملهم :

في هذه المرحلة " مرحلة الأسر " لا تشارك إخوانك المجاهدين عملهم في الخارج ، ولا تجتهد بما قد يعود عليهم بالوبال ، فهم يتدبرون أمرهم ، ولا تظن أنك أنت من سينقذهم ، ولذا اصرف اهتمامك إلى ما أنت فيه ، واجتهد في الحفاظ على نفسك وعلى معلوماتك وأسرارك ، لأن أسرارك أسرار لإخوانك ، ونجاحك نجاح لهم ، ونجاتك من نجاتهم .

أما إن تعاطيت مع الإشاعات والأخبار التي تتحدث عما يحدث في الخارج ، وأنهم بحاجة إليك ، وأن خرقاً حصل في الحركة أو في حلقتك التنظيمية ، ويأتي من يريد منك رتقه وعلاجه ، فاعلم أن هذا قد يوردك وإخوانك موارد السوء .

١٠/ الاعتراف حرام شرعاً .. (تذكّر) :

إذا أردت أن تفاخر بعملك أمام غيرك ، وإذا فكرت بالاعتراف على إخوانك ، وكشف أمرهم والحديث عن دورهم ، فتذكر أكثر من معنى :

* أوله أن الاعتراف عند العدو حرام شرعاً ، إلا أن يصل الأسير إلى حال لا يمكن معها الصمود بحيث يكون قد استنفذ الوسع والجهد في محاولة الصمود ثم لا يستطيع .

* مع استذكار هذا المعنى فإننا نستذكر معاً في مقابله الأجر الذي ستناله على صمودك وصبرك ، فأجر الصبر على الأذى والألم والمحنة ، وأجر حفظك لدعوتك وحركتك وإخوانك وحمايتهم ، وأجرك على إغاظتك لعدوك بهذا الصمود ، ذاك أجر عظيم وخير في الدنيا والآخرة .

١١/ لا تكن سبباً في إراقة دماء إخوانك .. (تذكّر) :

وثاني ما عليك تذكره إذا أردت الثرثرة والمباهاة والمفاخرة ، عشرات الشهداء الذين سقطوا بسبب اعترافات إخوانهم عليهم ، وأكثر من هذا العدد مؤبدات وسنوات طويلة قضاها إخوانك في ظلمات السجن بسبب تلك الاعترافات ، ومئات العمليات التي تم إفشالها وإيقافها بسبب مثل هذه الاعترافات .

إن ثمن الاعتراف باهظ ، فهل تقبل أن يسجل عليك أن أخاك وصديقك استشهد بسبب اعترافك ، فيبقى دمه في رقبتك يذكرك بفعلتك ، أو أن ترى أمامك أخاً يقضي في سجنه سنين طوالاً لأن العصافير خدعوك فكشفت أمره .

١٢/ قصّر مدة اعتقالك .. (تذكّر) :

اعلم أن وجودك في السجن مرتبط بالمرحلة الأولى من اعتقالك ، وهي فترة التحقيق (رغم قصر مدتها) ، فبناء على موقفك وتصرفك وحديثك فيها تطول فترة اعتقالك لسنوات طويلة قد تصل إلى العشرات ، أو تقصر لدرجة الإفراج عنك من زنازين التحقيق ، أنت صاحب القرار ، فهل تسمح لفترة ضعف لا تعدو لحظات أن تفقدك من حياتك سنوات ، هل تسمح لعبارات مفاخرة أن تأخذ من عمرك سنين ، لقد عشنا مع إخوة لنا عاشوا سنين سجنهم يعضون أصابع الندم لأنهم يعلمون أنه كان بإمكانهم الصمود ، ومن ثم العودة إلى البيت سريعاً .

قصص وعبـر ..

بالمثال يتضح المقال ، وحتى تكتمل الصورة نروي عدداً من القصص الحقيقية ، بعضها سمعناه من صاحبه ، وبعضها قرأناه ممن كتبه ، اخترنا قصصاً متنوعة تغطي عدداً من الأساليب التي يستخدمها العملاء ، والتي سبق الإشارة إليها .

وبالإضافة إلى عدد من القصص القصيرة التي أردت أن أعرضها لمعالجة حبكة معينة ، وحيلة محددة ، كتبت قصة أطول مقتبسة من قصة حقيقية طويلة تحت عنوان (هكذا خدعوني) ، تروي قصة أسير دخل تجربة العصافير ، فصمد أمام عدد من الأساليب حتى وقع في نهاية الأمر بعد طول صمود .

*** ملاحظة : سأستخدم أسماء وهمية تعبر عن بطل القصة ..**

بينما الأسير (أحمد) في زنزانته إذ تعالى الصراخ والضجة خارج الزنزانة ، فُتح الباب ، فدخل أسير شعره منفوش ، عليه آثار الضرب ، وهو يشتم السجان الذي يقوده ، ولم يلبث حتى تبعه أسير ثانٍ وثالث على هيئة مماثلة ، جميعهم يعاني من الأذى في التحقيق .

جلس الأربعة معاً ، تسامروا ، علموا أنه لم يعترف في التحقيق ، فحيّوا صموده وطلبوا منه عدم الاعتراف ، وأوهموه أنهم من الأسرى القدامى إلا أنهم أعدموا عميلاً داخل أقسام الأسرى الأمنيين ، واشتبكوا مع الشرطة ، فقامت الإدارة بقمعهم والتحقيق معهم ، ولذا فوجودهم هنا مؤقت ، وخلال أيام قليلة سيعودون إلى السجن ، وأضافوا إلى الحديث الكثير من المشاعر الجياشة ، والتفصيلات اللاهبة ، وأيد كل منهم صاحبه .

كان (أحمد) مأخوذاً بقولهم ، مبهوراً بتضحيتهم ، فانجذب إليهم واعتبرهم مثلاً وقدوة ، وقبل خروجهم إلى السجن قال أحدهم له : نحن خارجون إلى السجن ويمكنك أن توصل أي رسالة تريد ، فنحن نتواصل مع الأهل والمحامي والخارج .

وقعت هذه الكلمات في مكانها ، (فأحمد) ينتظر فرصة يوصل عبرها إلى إخوانه في الخارج رسائل تتعلق بالسلاح المخفي ، والمهمة المتفق عليها مع باقي أفراد الخلية ، فوقع في الشرك ، وطلب منهم أن يوصلوا رسالة شفهية إلى رفيقه في الخلية تحذره .

طبعا لم يكن هؤلاء الثلاثة إلا خونة عملاء أرسلها أسيادهم للإيقاع بالمناضل ، فكان ما أرادوا ، ووقع المناضل في حبالهم وكشف خليتهم .

بينما (كفاح) يجلس في زنزانته يعيش لحظات ترقب وقلق ، فهو في مرحلة تحقيق ، يحاول عدوه فيها أن يعرضه إلى عدة مؤثرات نفسية تتعبه وترهق نفسيته ، وتضعف قدرته على التركيز والسيطرة على أعصابه وسلوكه ، في تلك اللحظات دخل عميل أرسله رجال المخابرات الصهيونية .

سرعان ما تعارفا وبدءا تبادل أطراف الحديث ، وتطور النقاش بينهما ، فجأة نظر العميل إلى المجاهد نظرة غريبة مليئة بالشك والريبة ، ثم صرخ به : أنت عميل ، أنت خائن ، لقد أرسلك إليّ المحققون لتنتزع الاعتراف مني ، واستمر هذا العميل بالصراخ والتهجم على المجاهد ، بينما المجاهد يمر بحالة من الذهول والصدمة وعدم القدرة على التصرف .

في تلك اللحظات تدخل الشرطي _ الذي كان يقف قريباً من الباب ينتظر هذا الصوت ليكمل فصلاً من المسرحية _ وفتح الباب وقام بالفصل بين الرجلين ، وسحب المجاهد إلى غرفة التحقيق على عجل ليجد المحقق بانتظاره .

عاجله المحقق بعدد من الأسئلة والضغوطات النفسية التي زادت من الضغط عليه ، وتحت تأثير ذاك الضغط وبالتأثير بالاتهام بالعمالة ، بدأ الأسير بالاعتراف بما قام به من أعمال مقاومة .

روى لنا (أسعد) قصته مع الصراصير فقال :

بعد اعتقالي ، دخلت الزنزانة في تحقيق الجلمة ، وأنا متخوف من اعتقال أحد غيري من الإخوة الذين يمكن أن يعترفوا علي ، مكثت أياماً أخرج للتحقيق دونما جديد .

بعد أيام دخل عليّ شاب صغير السن ظريف المظهر ، مؤدب في سلوكه ومعاملته ، تعارفنا وتحادثنا ، سألته عمن قابل من أسرى في الزنازين ، فأخبرني أنه التقى بفلان وفلان وفلان ، وذكر اسم أخ لي ممن تتهمني المخابرات الصهيونية بالعمل معه في الجناح العسكري ، وقد حقق معي ضابط الشاباك على ذلك ولم أعترف بشيء عليّ أو عليه .

فسألت الشاب بلهفة عن هذا الأخ ، فقال أنه اعترف على شريكه _ يقصدني أنا _ بمعلومات خطرة ، فانهارت قواي وصدمت من ذلك ، لكني استجمعت عزيمتي وقررت أن لا أعترف رغم ذلك ، وأنا في قرارة نفسي لا أشك في المعلومة ، بل على يقين بأن الأخ اعتقل واعترف علي .

بعد أكثر من شهر من الصمود في التحقيق ، خرجت مرفوع الرأس ، وإذا بي أفاجأ أن الأخ لم يعتقل أصلاً وأن كل ما ذكر لي إنما هو حيلة للإيقاع بي ، وأن هذا الشاب الصغير الذي دخل علي الزنزانة ما هو إلا خائن ضمن طابور الصراصير التي توقع بأبناء هذا الشعب .

(حسام) و (عبادة) من مسؤولي مواقعهم في إحدى محافظات الضفة الغربية ، مشهود لهما بالصلابة والصمود في التحقيق ، اعتقلهما الاحتلال ، وأرسل أحدهما إلى تحقيق المسكوبية ، والآخر إلى سجن مجدو .

بعد أسبوع جاء إلى المسكوبية سجين منقول ، استقبله الأسرى وسألوه من أين قادم ، فأجاب : من سجن مجدو ، فبدأ الشباب بسؤاله عن مجدو والبلفونات والأوضاع المعيشية ، إلا أن حسام سأله عن صاحبه عبادة ، فأخبره أنه التقى به ، وأن التنظيم هناك يشك به ويريد التحقيق معه وأن ملفه جاهز لذلك ، صدم حسام لهذا الخبر ، فهو يعرف صاحبه تمام المعرفة ويعلم أن بينهما عمل كثير ، ولو كان عبادة عميلاً لكشف هذا العمل .

أعد حسام رسالة لتنظيم مجدو يخبرهم فيها أن هذا الأخ ثقة ومسؤول ، ويعلمهم بموقعه التنظيمي ، وأنه يملك أسراراً كثيرة مشتركة ، ولو كان عميلاً لكشفها ، وذكر إشارات محددة تؤكد هذا المعنى وتدلل على براءة عبادة .

حمل الأخ هذه الرسالة ، ونقلها إلى أسياده (فقد كان عميلاً) وبهذا التضليل وقع حسام _ رغم صلابته _ في حبال المخابرات وكشف المستور .

خرج المجاهد (عمار) من زنزانته بصحبة شرطي متوجهاً لمقابلة مندوب الصليب الأحمر ، وضع الشرطي على عينيه عصابة حتى لا يرى محيطه وسار به إلى المكان المقصود .

في الطريق جاء سجين ثان معصوب العينين بصحبة شرطي آخر ، سارا معاً ثم أوقفهما الشرطي معاً ، وطلب منهما عدم الحديث معاً ثم مضى مبتعداً .

وقف الأسيران برهة ، فتحدث الثاني وذكر اسماً مستعاراً وقال لعمار : اسمع أنا لا أعرفك لكن أرجو منك إذا التقيت بشخص اسمه عمار قل له أن صاحبك فلان اعترف عليه بمعلومات حساسة ، أهمها (ويذكر ما تظن المخابرات أنه قام به) عند تلك اللحظة دخل الشرطي وصاح فيهما فسكت الأسير ، ثم أخذ الشرطي عماراً ومضى به إلى مندوب الصليب الأحمر فيما بقي الأسير الآخر في مكانه .

بدأت الأفكار تتصارع داخل رأس عمار ، وأدرك أن صاحبه قد اعترف عليه فبدأ تفكيره يتجه إلى ترتيب الاعتراف ، وليس إلى الصمود كما كان .

بعد أن أدلى عمار باعترافه وأنهى تحقيقه التقى بصاحبه فأصابته الصدمة أن صاحبه لم يعترف وأن ذاك الأسير الذي التقاه في الطريق إلى مندوب الصليب ما هو إلا صرصور ضلله وأوقعه ، فأخذ يعض أصابع الندم لكن بعد فوات الأوان .

كان (عبد الله) في زنزانة مع أربعة إخوة قريبين منه منسجمون معاً يقضون وقتهم في الحديث عن قضاياهم ، قام الاحتلال بسحبه للتحقيق ، وعند إعادته وضعوه في زنزانة قريبة ، ووضعوا معه صرصور خائن ، فنشأ بينهما ألفة وصداقة " فهو لا يعرف حقيقته " .

بعد أيام قليلة نقلوهما من جديد إلى ذات الزنزانة التي تحوي الشباب الأربعة ، فاستفاد العميل من علاقته مع عبد الله وقربه منه وتقرب بسرعة من الشباب الأربعة ، ولم تلبث المخابرات أن نقلت عبد

الله من الزنزانة ، واثنين من الإخوة ، فبقي العميل مع الشابين المتبقيين ، واستطاع أن يتسلل إلى مكامنهم ، ويستمع إلى قضاياهم وينقل إلى المخابرات ما لم يعترفوا به ، ويتعرف إلى نقاط ضعفهم وقوتهم ، فأعادهم إلى التحقيق بعد أن ظنوا أنهم نجوا بما لديهم .

خضع (نضال) لتحقيق قاسٍ ، ولم يدلِ بأي اعتراف ، تم نقله إلى غرف العصافير (الصراصير) وهناك كان استقباله حافلاً ، ولم يطلبوا منه شيئاً لعلمهم بحذره ، وبعد فترة طويلة من الإكرام والترحاب والخدمة والمساعدة ، تخللها هدايا وملابس جديدة وعلاقات حميمة ، طلبوا منه أن يكتب إفادة فرفض ، لكن على استحياء .

رغم رفضه بقوا معه على ذات الوتيرة من الخدمة والإكرام ، فأعجبه ذلك ، وأكبر فيهم فعلهم ، ومع الأيام أصبح خجلاً أن يشك فيهم ، أو أن يرد لهم طلباً .

زيادة في الخداع سألوه : نضال ، ما الذي ترغب أن نفعله لنثبت لك أخوتنا وصداقتنا ووطنيتنا ؟ قال : أريدكم أن توصلوا رسالة إلى صديق لي ليرد عليها ، قالوا : على الرحب والسعة ، فكتب رسالة إلى صديقه وسلمهم إياها ، فقام الصراصير بتسليمها إلى أسيادهم المخابرات ، التي قامت بالاستفادة منها ومما ورد فيها ، وأضافوها لما توفر لديهم من معلومات عن الأمر فتشكلت لديهم صورة أوضح ، وردوا على رسالته برسالة مكتوبة ، فيها معلومات تفيد أن الرسالة من صديقه .

جاءت الرسالة تفخر بصموده ، وتحثه على مزيد من الصمود ، وتقول له أن هؤلاء إخوانك ويمكنك الوثوق بهم ، فاطمأن نضال للخونة وسلمهم ما تبقى لديه من معلومات .

مع ذلك لم تقم المخابرات بإخراجه من عند الصراصير ، بل أبقوه بينهم ، وسلمه الصراصير مسؤولية الغرفة لاستغلاله وبدأ يقوم بدورهم ويساعدهم ، وهو يظن أنه يقوم بعمل وطني ، أصبح يستقبل القادمين الجدد ، ويأخذ منهم الاعترافات حتى حقق لأعدائه إنجازات .

بعد أشهر من العمل سمع عبر الإعلام باغتيال أبناء مجموعته الذين قدم فيهم الإفادة ، فأصابته الصدمة والذهول ، لكن المخابرات لم تمهله حتى يستيقظ فاستدعته مع قيادة الصراصير ، وشرحوا له الدور الذي قام به ، وحجم الخلايا التي قام بكشفها ، والمقاومين الذين استطاع الإيقاع بهم ،

وأخبروه أنه السبب في اغتيال أبناء مجموعته ، وخراب العديد من البيوت ، وأن الناس يعرفون أنه يتعامل مع الاحتلال ويعمل كعصفور في غرف الصراصير ، وأن كل من اعترف عنده كتب به تقريراً ..

أصيب نضال بذهول وصدمة شديدة ، لم يستطع معها التفكير ، في تلك اللحظة قال له كبير ضباط الشاباك : ليس لدينا مشكلة أن نفرج عنك لكنك ستقتل كعميل ، فاختر لنفسك أن تموت كعميل أو أن تستمر بالعمل معنا ، فاختار نضال لنفسه أن يصبح خائناً بحق ، والتحق بركب من سبقه من الخونة العملاء .

(شادي) عضو خلية عسكرية ، كانت تفتقر إلى السلاح ، دخل التحقيق ولم يعترف بشيء ، فنصب له عدوه مصيدة فيها الجبن الذي يحب .

دخل عميل عليه زنزانته ، أظهر صموداً في التحقيق ، وأن قضيته تتعلق بالسلاح ، بعد حديث طويل تظاهر العميل بأنه أحب شادي ووثق به ، فقال له : أنا تاجر سلاح ، لم أعترف على شيء ، لكني على استعداد أن أساعدك فيما تريد بعد خروجك .

وقع الكلام في نفس شادي لكنه لم يتكلم بشيء ، بعد ساعة أخرى من الحديث جاء الشرطي ليخبر العميل أنه سيفرج عنه ، وطلب منه الاستعداد إلى حين إخراجه ، عندها تجرأ شادي وقال له : اذهب إلى صديقي فلان وقل له أني مرسل من شادي ، وأعطه سلاحاً وسيعطيك ثمنه .

وقع شادي في المصيدة وكشف أعضاء خليته ، فجاء بهم الاحتلال وحقق معهم فكشفت تفاصيل القضية .

دخل (محمد) التحقيق ، فصمد صمود الأبطال ، وخاض جولات تحقيق متتالية دون أن يتفوه بكلمة ، فقرر محققو الشاباك إرساله إلى العصافير ، وهناك استطاع العصافير خداعه وتضليله ، فتحدث عندهم بعدة أمور على رأسها أنه قتل عميلاً للاحتلال .

يقول محمد : عندما خرجت لزيارة الصليب الأحمر ، تفاجأت بدخولي غرف التحقيق ، ووجدت نفسي أمام محققي المخابرات ، عندها عرفت أني وقعت ، وأخذ المحققون بالضحك والاستهزاء بي ، وطلبوا مني التوقيع على الاعتراف ، فقررت الصمود ، ورفضت كتابة أي حرف ، وقلت لهم : أنا أصلاً عرفت أنهم عملاء وقلت لهم ما قلت لأتخلص منهم ، وكل ما ذكرته غير صحيح ولا أصل له ، ولن أوقع على شيء لم أفعله .

وبقي محمد على إصراره حتى انتهى التحقيق ، وإذا به يحكم سنتين فقط على فعاليات ، بدل أن يحكم عليه بالسجن المؤبد ، وأفرج عنه بعد انتهاء محكوميته .

 # هكذا خدعوني ..

قصة أسير فلسطيني دخل السجن ، ولم يكن يعلم شيئاً عن العصافير ، فوقع في شراكهم ، هي قصة حقيقية واحدة ، لكنها تتكرر آلاف المرات في أقبية التحقيق وجحور الصراصير ، أردنا سوقها للقارئ لما فيها من عبرة وعظة ، ودرس بل دروس بليغة لمن أراد أن يتعلم ..

يقول (عمر) : كنت أحد الضحايا الذين غرر بهم ، فأردت أن أكتب قصتي مع العصافير ، أستصرخ من خلالها كل فلسطيني من هذا الشعب المجاهد ، أن يعي جيداً هذا الشرَك ، وأن يأخذ دوره في توعية من حوله بأساليبهم وألاعيبهم .

في التحقيق ... بعد اعتقالي أدخلني العدو إلى مركز التحقيق ، واستعملت معي المخابرات الصهيونية أساليب عدة في معظمها نفسية ، إضافة إلى بعض الأساليب الجسدية ، ولم يصلوا من ذلك إلى أي نتيجة ، وتركوني وحيداً في أماكن معزولة عن البشر طويلاً ، وفي ظروف صعبة وقاسية حتى كنت أتمنى أن ألتقي أي أحد أشعر معه بوجود حياة .

بقيت كذلك إلى أن أنزلني المحقق إلى الشرطة لأكتب إفادة لا تهمة فيها ، وأشعرني أنني انتهيت من التحقيق ، ثم أخبرني بذلك صراحة ، وبدأت قبضة التحقيق تتراخى حتى كان نقلي إلى أقسام الأسرى ، وما هم بأسرى ، إنما هم الخونة ... الصراصير .

عند العصافير .. مع دخولي هذا القسم أحسنوا استقبالي ، ووفروا لي كل ما أحتاجه من لباس وطعام واحتياجات ، وتعاملوا معي ببشاشة واهتمام ، ولم يشعروا أني بحاجة إلى أي شيء إلا سارعوا إلى توفيره ، فبدأت أشعر بأول معاني الراحة .

مع اللحظات الأولى لدخولي القسم تمشّى معي أحد الشرفاء الذين جعلوه يقوم بدورهم دون أن يدري بسبب غروره وحبه للمناصب ، فأعلمني أن هناك موجهاً أمنياً هو المخول الأمني الوحيد بأن يسألني عن قضيتي ، وعلى أن أتعامل معه وأعطيه تاريخ حياتي وما يطلبه مني .

أجبته أنه لا يوجد عندي أي شيء ، فقال لي : خايف تكون بتفكرهم عصافير ؟ هؤلاء شرفاء وبعضهم مطلوب له مؤبدات ، وقد جربتهم في أكثر من أمر فكانوا على خير حال، قلت له : أنا لا أخشى شيئاً لكن ليس عندي ما أخفيه .

بعد يومين طلبني الأمير فجلست معه ، وشرح لي بعض الأمور التي تتعلق بالسجن وأخبرني بأن المسؤول الأمني يريد أن يجلس معي ليستوضح مني بعض التفاصيل ، وفعلاً جاء هذا المسؤول ، وسلم علي وسألني عن صحتي وأخباري وتلطف معي ثم سألني : كم عمرك ؟ ، قلت : ٢٢ عاماً، قال : هذا غير صحيح فغضبت وتوترت من تكذيبي ، فأجاب مبتسماً : يا أخي هذا ما مضى من عمرك ، أما عمرك الحقيقي فلا يعلمه إلا الله ، عندها هدأت وقلت له : غلبتني هذه المرة .

سألني إن كنت أعلم بسبب وجودي في هذا القسم المعزول عن باقي أقسام الأسرى ، فقلت له : لا ، قال : هذا قسم استقبال وفرز ، أي أن المعتقل أول ما يدخل للسجن يحدد التنظيم الذي سيعيش عنده ، ويكون مسؤولاً عن إدارة أموره ، وإن هذا القسم تم إيجاده لكي يساعد في فرز الأسرى ، فقد كان الأسير الجديد سابقاً يدخل السجن مع جميع المعتقلين بينما المعتقلون لا يعرفون حقيقته ، بالتالي يضطرون إلى إيقاف أنشطتهم إلى حين الاطمئنان إليه .

فقلنا : لم لا نجعل قسماً مستقلاً عن باقي الأقسام يقوم على استقبال الإخوة الجدد ، ونتحقق من نقائهم الأمني ، وفي ذات الوقت نعلّمهم النظام والقانون الإداري والاعتقالي ، ليدخلوا الأقسام بعد ذلك وهم مهيؤون مستعدون ، وبذا لا نعطل برامج الأقسام ونجعلها أكثر استقراراً وانتظاماً .

سارت الأمور بصورة رتيبة ، وبدأت أتعرف على الواقع من خلال بعض الأسرى ، فشرحوا لي عن اللجان الموجودة والمكلفين بإدارة الأمور كاللجنة الثقافية والسياسية والأمنية وجهاز الردع ، والأمير العام والمخول الأمني وممثل المعتقل ، ودور كل منهم ، فعلمت أن المسؤول الأمني مكلف بالاستماع إلى كل قادم جديد حول قضيته ، ومعرفة مجريات التحقيق ، والاعترافات التي أدلى بها ، والأساليب التي استخدمت معه ، حتى يقوم التنظيم بدراسة هذه التفصيلات ويتعامل مع المعلومات ، فيضع الأساليب المضادة لأساليب التحقيق ، ويعالج ما يمكن معالجته من آثار المعلومات التي تم كشفها والوصول إلى الأسباب التي أدت إلى هذه الضربة ، وإعداد الدراسات المناسبة لمواجهة الاحتلال في انتزاع المعلومات من صدور المناضلين .

لم يطل الأمر حتى طلبني المسؤول الأمني ، وجلسنا معاً جلسة مطولة بدأها بالملاطفة والابتسامة والسؤال عن أخباري ، ثم بدا بشرح وظيفته التنظيمية ، وأنه مكلف من مجلس الشورى العام بالجلوس مع المعتقلين الذين يدخلون القسم ، وأن لديه تصور كامل عن كل منهم ، وذلك عبر تنظيم المناطق في الخارج ، وبالتالي يكون دوره معرفة قضية الأخ وتاريخه النضالي ليسهل كشف الأسباب التي أدت إلى اعتقاله .

قال لي أن الحديث سيكون بيننا ولن يخرج لأحد ، وأنه أقسم على المصحف أمام مجلس الشورى على أن يحافظ على سرية المعلومات ، بعد ذلك سألني عن قضيتي ، فأجبته بما كتبته في الإفادة التي كتبتها عند الشرطة ، فضحك وقال لي : أهنئك على حرصك ، وعلى نجاحك في الحفاظ على المعلومات ، فغيرك وقع عند المخابرات دون عناء ، قلت لك أني مطّلع على تاريخك ، هذا الذي كتبته هو إطار حددته لنفسك ، وقررت عدم تجاوزه ، وهذا رائع وممتاز ومطلوب ، لكن مع محققي الشاباك ، أما مع إخوانك فهذا غير مقبول .

رغم ذلك بقيت على رفضي الحديث حول قضيتي ، واستمر الجدل بيننا طويلاً وأخذ شكلاً من الحدة ، إلا أن الأمور بقيت على حالها ، فعرض علي أن أبحث عن أي حل أطرحه عليه لإنهاء الأمر ، سواء كان بالاتصال بالخارج أو أن يأتيني بكتاب تنظيمي مغلق عليه ختم الحركة ، أو أي حل آخر فرفضت كل هذه العروض .

قال لي : صلّ ركعتي استخارة ، فأجبته لا استخارة في مثل هذه الأمور ، عندها قال لي : سأرفع هذا الكلام لمجلس الشورى وهم يرون ماذا يصنعون ، وانتهى اللقاء .

في اليوم التالي جاءني " الأمير العام " وطلبني للجلسة ، عندما دخلت عليه استقبلني بحفاوة وقال لي : إن إخوانك يحيون فيك حرصك على حركتك ، والتزامك الأمني ، إلا أننا في سباق مع المخابرات الإسرائيلية ، ولا بد من العجلة .

قضيتك فيها ثغرة أمنية ، ويجب أن نطوق الخلل بأسرع وقت ، ثم أضاف بانفعال : إسرائيل ومخابراتها بتفكرنا شعب بتعلمش من الأحداث والأخطاء والاغتيالات المتكررة ، لأ احنا بنتعلم وبنستفيد وبنقيّم أخطاءنا ، علشان هيك احنا مستعجلين عليك ، يمكن أن تأخذ وقتك حتى تقتنع وتتحدث ، لكنك ستتحمل مسؤولية الإخوة في الخارج ، وما يمكن أن يحدث معهم .

عند ذلك شعرت أنه ضرب على الوتر الحساس ، وتحركت غيرتي وحرصي على إخواني ، فقلت له : سأفكر بالموضوع ، أمهلني يومين ، فتركني ومضى .

بعد يومين جاءني الموجه الأمني وأمير القسم ، وسألني عن قراري ، فقلت لهم : من المعروف في الخارج أن أي إنسان يدخل السجن ممنوع على أي أحد أن يسأله عن قضيته ، إلا ما كتبه في الإفادة ، وتعلمنا أن لا نؤمّن لأي شخص في السجن حتى لو كان أكبر مسؤول تنظيمي ، وإذا كان أميناً فليس من حقه سؤالنا عن أسرارنا .

قال المخول الأمني : هذا صحيح ، ونحن نؤكد على ما تقول ، بل نحن من يخرج هذا الكلام للخارج ضمن مجموع القواعد الأمنية الأخرى ، وداخلياً نتفاهم مع الأخ على ملفه ، أتعلم لماذا لا نخبر أحداً أننا نفعل هذا ؟ لأنه لو علمت المخابرات الإسرائيلية بذلك لقامت باستغلال الأمر وفعلت مثلنا وأوقعت بالمجاهدين .

كان الجواب مقنعاً لكني بقيت متردداً في قول ما عندي ، فقلت لهم : كنت مقرراً عدم الالتزام لكن بعد هذا الحديث أطلب منكم لقاء إخواني في التنظيم لأتفاهم معهم ، فقالوا لي : سنرفع طلبك للشورى ليقرر في الأمر .

في اللقاء التالي أبلغوني أن مجلس الشورى واللوائح منحتهم وحدهم مهمة الجلوس مع المعتقلين ، وأنهم أقسموا على كتاب الله أن لا يبوحوا بالأسرار حتى لو تقطعوا إرباً ، فرفضت الحديث إليهم.

جاء القرار بتجريدي من كافة حقوقي ، ومقاطعتي ، فأجبتهم بالسمع والطاعة ، والتزمت زاوية الغرفة وحدي ، وبدأت الدموع تملأ وجهي من ألم قرار إخواني ، ومن شدة جفاوتهم لي ثم تدخل شاويش الخيمة ، وناقش الأمر معي ، ووعدني بأن يتدخل للمساعدة ، ويرفع الموضوع إلى الإخوة المسؤولين ، ثم تدخل المسؤول الأمني وتعامل بلطف ووعد بالمساعدة .

الاعتراف ... في اليوم التالي أبلغوني أن لديّ محكمة ، إلا أنني لم أخرج إليها ، فجاءني الموجه وأبلغني أنهم فوجئوا من عدم نزولي للمحكمة ، وأنهم يتابعون الأمر عبر ممثل المعتقل ، وأبلغني أن الإخوة في التنظيم يتفهمون موقفي فبدأت الأمور تتحسن .

في اليوم التالي أبلغوني أن الإخوة في مجلس الشورى اطلعوا على إفادتي التي كتبتها عند الشرطة وأنها لا تحتمل إلا أحد أمرين : الأول التحويل إلى الاعتقال الإداري ، والثاني الإفراج .. وأخبروني أنه لا يوجد لدى المخابرات الإسرائيلية أكثر من ٩٦ ساعة من الممكن أن ينزلوني خلالها محكمة ، وإلا فإنه سيتم الإفراج عني .

ثم أبلغني الموجه أن العديد من الإخوة معارفي في الأقسام يهدونني السلام ، ويطلبون مني الانتقال إليهم لرؤيتي ، إلا أن التوصيات الأمنية مشددة بعكس ذلك ، حتى لا تركز الأضواء علي بالأمر الذي يعيق الإفراج عني .

بعد انقضاء ٩٦ ساعة أبلغني أن الإخوة في مجلس الشورى يهدونك السلام ويتمنون لك الإفراج العاجل ، وأن أعصابهم مشدودة من أجلي ، وأن خلافاً داخل المجلس بين الإخوة الذين يمثلون التنظيم وبين باقي الأعضاء ، فهم يطالبون بأن تخرج لزيارتهم ، بينما باقي الإخوة يرفضون ذلك ، أتدري لماذا ؟ يقولون ما الذي يدرينا أن تكون المخابرات الإسرائيلية ستتعمد الإفراج عنك من أجل متابعتك واستغلالك كطعم لمعرفة من وراءك ، نعم هذه الإجابة أسكتت إخوانك في التنظيم .

زادت قناعتي بأقواله ، بعد ذلك أبلغني أنه سوف يدخل جهاز بلفون خصيصاً من أجلي لكي أتحدث مع الأهل وأطمئنهم ، ثم بعد ذلك يجلس معي لإنهاء الموضوع وتقديم رؤوس أقلام فقط لكل يوثقوها ويطابقوها مع ما عندهم من تقارير قبل أن يأتيني الإفراج ، وقد كان ذلك بعد مرور ١٧ يوماً على الجلسات المكثفة معي ، والحياة _ كما شاهدتها _ طبيعية ، والكل يدخل ويخرج إلا أنا ، فأعطيت الموجه ما لدي من معلومات وملاحظات ، فشكروني على التزامي معهم وعلى حرصي وحذري ، وطلبوا مني أن أتريث انتظاراً للإفراج عني .

بعد يومين من الاستيضاح عن بعض النقاط والمعلومات التي ذكرتها عندهم ، سهرت ليلة حراسة (شفت) وفي اليوم التالي صباحاً دخل الموجه القسم ، ونادى بأعلى صوته : مبارك الإفراج يا عمر ، وقام بمعانقتي بحرارة ، وأخذ الجميع بعناقي وأوصوني بالثبات على مبدئي والدعاء لهم ، أحضروا لي ثياباً جديدة فلبستها وأنا سعيد ثم بدأوا بالنشيد لوداعي .

أبلغني الموجه كيف أستطيع إتمام طريقي في الخارج وطرق التواصل مع المجاهدين ، بعد أن طلبوا مني أن أجمد نشاطي لبضعة أشهر من باب الاحتياط .

سلّم علي الشباب السلام الأخير ، وطلبوا مني أن لا أنساهم _ وكان ذلك بالفعل _ ثم خرجوا بي ، قام الشرطي بوضع العصبة على عيني ، وسار بي ، وبدل أن أفتحهما في الحرية ، بين أهلي وأحبابي إذا بي بين يدي المحققين من جديد ... ويا لها من لحظات .. ما أقساها .. ما أصعبها .. ما أشدها .. آه كم آلمتني كلمة المحقق : " المهم مين بيضحك بالآخر " .

سلمت بعد مقاومة بسيطة بالأمر ، فلم أكن أعلم أن بإمكاني أن أتراجع عن كل ما حدث عند هؤلاء ، وأن كلامهم لا يدينني بشكل تام إذا تراجعت .

وبالرغم من أني أنقذت ثلاثة إخوة عندهم ، حذرتهم في البداية من العصافير ، ومن التكلم بأي كلمة ، إلا أن ذلك لم يشفع لي ، وقد التقيت مع هؤلاء لاحقاً فشكروني وقالوا لي : لولاك لمكثنا في السجن طويلاً ... وها أنذا أدفع الثمن .

الوصايـا العشـرين

* السعيد من اتعظ بغيره ، فاعتبر من كل ما سبق من تجارب .

* أنت في مرحلة تحقيق ما دمت أسيراً ، على كرسي الشبح وفي غرفة التحقيق وفي الزنزانة وفي البوسطة وفي السجن وفي كل مكان .

* سرّك أسيرك ، فإن بحت به صرت أسيره ، ولو لشخص ثقة .

* لا تحدث الناس بقدر ثقتك بهم ، فالمعرفة بقدر الحاجة لا بقدر الثقة .

* لا يُسمح لأحد أن يسألك عما لم تعترف به عند عدوك ، مهما كان موقعه التنظيمي ومسماه.

* التنظيم الحقيقي لا يطلب من عناصره البوح بالأسرار الجهادية والتنظيمية .

* لا تقلق على إخوانك في الخارج فلعل قلقك عليهم يوقعك في المحظور ، فتهب لنجدتهم بإرسال ما لديك من معلومات فيكون السقوط ، وأكثر ما يمكنك مساعدتهم به هو الصمود في التحقيق والدعاء .

* من السهل على العدو تزوير الشعار والأختام ، فلا تنخدع إن رأيت رسالة مختومة بختم الحركة أو شعارها .

* لا تركز على الشكل بل على المضمون ، والشكل هو (العدد والمكان والأسماء ...) والمضمون هو عدم الكلام بالأسرار .

* ثقف نفسك أمنياً قبل أن تقع ، فأنت فلسطيني مستهدف على الدوام .

* الرياء شر كله فهو مهلكة في الدنيا والآخرة .

* أنت مجاهد ، فلا تخش أي أسلوب من أساليب التحقيق ، فكلها صغيرة تافهة ، بما فيها العصافير ، وأنت أقوى منهم جميعاً .

* السقوط الأخلاقي مقدمة للسقوط الأمني فاحذر كل ما يؤدي إليه .

* لا تصدق ما يقال لك في مرحلة التحقيق ، فكثير منها مكذوب وإشاعات ، أو رسائل سلبية يراد منها أن تصلك.

* لا تعط سرّك حتى لمن يضع يده على المصحف يقسم أنه سيحفظ السر ، فالعملاء لا يتورعون عن هذا القسم .

* أنت شريف تعرف نفسك ، فلا تبال حتى لو حاول أحد رميك بالعمالة فإنما هي خدعة.

* في السجن عش حياتك الطبيعية أياً كان الأسرى من حولك ، لكن لا يجعلك ذلك تبوح بأسرارك.

* لا تظن الضعف في نفسك ، فقدراتك كبيرة ويمكنك الصمود أمام جميع أساليب العدو ، المهم أن تحسن التوكل وتتقن الاستعداد .

* كن قدوة في الصمود ، ولا تكن قدوة في السقوط ، فلست خبّاً ولا الخب يخدعك .

* قبل كل شيء وبعده استحضر معية الله ، اطلب العون منه يكن معك ، ومن كان الله معه فلا يهمه أحد .

نسأل الله لك التوفيق والسداد

ختامـــاً

أكثر الاحتلال من استخدام أسلوب العصافير (الصراصير) في الحصول على المعلومات من الأسرى الأبطال ، ولم يكن ذلك إلا لنجاحهم في مهامهم ، ولم يكن هذا النجاح إلا لفشلنا في مواجهتهم .

فماذا يعني أن يدخل العشرات تلو العشرات _ حتى بلغوا عشرات الآلاف _ عند العصافير ، فيضعون ما لديهم من أسرار عجز رجل الشاباك عن الحصول عليها ، ثم يمضون وكأن شيئاً لم يكن .

ماذا يعني أن تعجز المقاومة وفصائلها في تبصير وتحصين عناصرها ونواتها الصلبة ومن ثم عموم الشعب من هذه المصيدة التي جعلتهم يخسرون كثيراً .

ماذا يعني أن يستمر هذا الأسلوب في نجاحه على مدار ثلاثة عقود متتالية ، ولا زالوا يوقعون بصيدهم في ذات الحبال وبذات الأساليب .

رسالتنا هذه جهد وصرخة ، ومساهمة _ ولو صغيرة _ في هذا التبصير ، ومشاركة _ ولو قاصرة _ في هذا التحصين ، ودعوة _ ولو محدودة _ إلى هذه اليقظة .

نسأل الله أن ينفع بها ، وأن يجعلها جهد خير ، وفي موازين الأجر

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين